مشترى
آهد التاريخ

الروضة الندية في السيرة المحمدية

لوحات شعرية من حياة الرسول ﷺ

تأليف الدكتور : شكري محمد سمارة

أستاذ الأدب بكلية التربية للبنات سابقاً

ومستشار التدريب بمركز قطاف بالمدينة المنورة

والمشرف على مدارس الفصحى الأهلية

ح شكري محمد سمارة ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سمارة ، شكري محمد

الروضة الندية في السيرة المحمدية .... / شكري محمد سمارة - المدينة المنورة ، ١٤٢٩هـ

٨٨ ص ؛ ١٧×٢٥ سم

ردمك : ٢-١٤٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - المدائح النبوية ٢- الشعر الإسلامي ٣- السيرة النبوية أ- العنوان

ديوي ٨١١,٠٦٢ ١٤٢٩/١٨٢٩

رقم الإيداع : ١٤٢٩/١٨٢٩

ردمك : ٢-١٤٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى : شعبان ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

مطابع الرشيد ☎ ٩٢٠٠٠٠٧٨٦

الإهـــــداء

هَـذا نَظيمـي لِخَيْـرِ الْخَلْـقِ أُهديـهِ   لِلْمُـصْطفَى لِرسُـولِ اللَّـهِ أُزْجيـهِ

لِخـاتَمِ الأنبيـاءِ اللَّـهُ أرْسَـلَهُ   لِمُنْقِـذِ الْخَلْـقِ مِـنْ جَهْـلٍ وَمِـنْ تِيـهِ

لِمُنْقِـذِ الْخَلْـقِ مِـنْ ظَلْمـاءَ داجِيَـةٍ   لِمَـنْ لَـهُ الْمَجْـدُ فِي أسْـمى مَعانيـهِ

اللَّـهُ بِـالحقِّ والْقُـرآنِ كَرَّمَـهُ   بِالـدِّينِ أَدَّبَـهُ بِـالْعِلْمِ يُعليـهِ

مُحَمَّـدٌ خَيْـرُ خَلْـقِ اللَّـهِ كُلِّهِـمُ   هـادِي الْخَليقَـةِ نُـورُ اللَّـهِ يَهديـهِ

لا تَـأْبَهَنَّ لإسْـفافٍ وَسُـخريةٍ   فَـالْغَرْبُ يَنْـضَحُ قَطعًـا بِالـذي فيـهِ

الـضَّعْفُ يُغْريـهِ بالإسْـلامِ يَطعَنُـهُ   والمُـسْلِمونَ ضَحـايا الحِقْـدِ يُخفيـهِ

يَحْمـي الرَّسُـولَ إلَـهُ الْكَـوْنِ أَرْسَـلَهُ   هُـوَ الْكَفيـلُ بِـهِ فاللَّـهُ حاميـهِ

لُـوذوا بِـدينِكُمُ يـا مُـسْلِمونَ فَمـا   يُحْيـيكُمُ غَيْـرُ ديـنِ اللَّـهِ يُحييـهِ

تَـسَنَّمُوا الْمَجْـدَ وارْعَـوْا حَـقَّ أُمَّـتِكُمْ   بِـالْعِلْمِ فَـالْعِلْمُ يُحْيـي الْمَجْـدَ يُثْرِيـهِ

إلى كل من يرى في رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - أُسوة حسنة ، إلى كل من أحبه ويحبه وتبع منهجه وتخلّق بأخلاقه ، وترسّم خطاه وتأدّب بأدبه، أهديه هذا العمل المتواضع ، إلى كل أطفال المسلمين ومن بينهم أحفادي : رامتان وريمان وزينة ولانا وأحمد وشكري وعمر وخالد ، أُهدي هذا العمل راجيًا أن يجدوا فيه كلَّ ما يروقهم ويُمتعهم .

د. شكري محمد سمارة

المقدمة

اللهم يسرْ وأعنْ.

ليس من السهل التعرض للكتابة عن حياة العظماء ، فلا بد للكاتب حين القيام بهذا الأمر أن يختار ألفاظه بعناية فائقة ؛ لأن الألفاظ كما يرى - البلاغيون والنقاد- أوعية المعاني وقوامها.

ولست بصدد الحديث عن اللفظ والمعنى، وهي قضيةٌ شغلت القدماء والمحدثين على حد سواء بالرغم من اختلاف التسميات ، فالمسلّم به - بعد طول أخذ ورد بين البلاغيين والنقاد- أن شرف المعنى يقتضي شرف اللفظ ، وأن المعنى الكريم يطلب اللفظ الكريم ، ولعل هذه القضية أصبحت محسومة بشكل واضح وجلي منذ عبد القاهر الجرجاني الذي أدرك الصلة الوثيقة بين كلا العنصرين في الكتابة والإبداع ، والقضية ذاتها حسمت بين المحدثين الذين تحدثوا عن الشكل والمضمون مع الاحتراز بأن قضية الشكل والمضمون أكثر اتساعاً وشمولاً من قضية اللفظ والمعنى التي تحدث عنها القدماء .

وإذا كانت الكتابة عن العظماء تقتضي كل هذا الاهتمام ، وإذا كانت الكتابة عن الأنبياء وهم أجل العظماء لأن الله أرادهم كذلك شئنا أم أبينا ، وإذا كانت الكتابة عن النبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم حبيب الله ورسوله ومصطفاه وخليلُه وخاتم النبيين وإمامهم والمختار ليكون رسوله إلى الناس كافة وهو أعظم الأنبياء ، فإن الكتابة عن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب — تحتاج من الكاتب حرصًا مضاعفًا وعنايةً بالغةً في تخيُّر كل لفظٍ وكل عبارة لكي يحدث التناسب والانسجام بين عظمة النبي وكرامته ومنزلته، وبين شرف الألفاظ ونبل المعاني وسمو الغاية التي يسعى الكاتب إلى إبرازها ويجدُ في تحقيقها وإلقائها ثمرةً سائغةً للقراء لذةً للناظرين ، وتحفةً للسامعين ، ومتنزَّهًا للقارئين الذين لا ينسون - ولو للحظة واحدة

– أنهم بين يدي نصٍّ محورُهُ محمد بن عبد الله النبي الأمي الذي أرسله الله رحمة للعالمين .

وإنني لزاعمٌ بل جازمٌ أن اسم محمد هو أكثر الأسماء شيوعًا في العالم منذ كانت بعثة محمد إلى العالمين رسولا من الله جل جلاله وتقدست أسماؤه ، ليس إلى يومنا هذا فحسب ، ولكن إلى أن يرث الله الأرض وما عليها إذ يندر أن نرى بيتًا من بيوت المسلمين يخلو من هذا الاسم المبارك الرنان بالرغم من وجود أسماء كثيرة متداولة بين الناس في الشرق والغرب ، ويكفي أن نشير إلى أن اسم محمد يتردد في كل ثانية آلاف المرات خلال قراءة القرآن وقراءة التحيات والصلاة الإبراهيمية (التشهد الثاني) مع ملاحظة أن هناك مسلمين يصلون في كل لحظة تمر ، بعضهم يصلون الفجر وبعضهم يصلون الظهر وآخرون يصلون العصر وغيرهم يصلون المغرب أو العشاء مع الأخذ في الحسبان أنه في كل لحظة يُرفع أذانٌ لصلاة ما في مكانٍ ما في أجزاء الكرة الأرضية المأهولة فتأملْ .

محمد بن عبد الله ، وقبل أن يختاره الله رسولا للعالمين وللثقلين من الإنس والجن ، ومنذ ولادته في عام الفيل الموافق العام السبعين بعد الخمسمائة من الميلاد – منذ تلك السنة وتلك الولادة فإن كل الدلائل تشير إلى أننا أمام شخصية غير عادية ، فهو منذ نعومة أظفاره لم يكن طفلاً كالأطفال العاديين ، ولم يكن شابًا كالشباب العاديين ، بل كان طفلاً مختلفًا ، فهو لم يكن يميل إلى اللعب ولا إلى المزاح كالأطفال ولم تكن له أحلامهم الصغيرة المشروعة ، ولعل ليتمه المبكر، وشعوره بالمسئولية عن نفسه وانتقاله من كفالة إلى كفالة، لعل ذلك كله أسهم إسهامًا كبيرًا في بناء شخصيته وإعدادها كما شاء الله لها أن تكون ، وهو في شبابه أيضًا لم يكن ذلك الشاب العابث أو المتهرتق وما أكثر الشباب العابثين والمتهرتقين في أيامه! ولكنه كان الشاب المتزن الجاد المتأمل الذي لم يجنح للملذات ، ولم يهتم بسفاسف الأمور ، بل راح يتأمل ويعتزل قومه بل وأهله ليفكر في ناموس

الكون وكنهه والقواعد التي تحكم حركته وميتافيزقيته ، فكأن الله قد أعده الإعداد المتقن ليكون في الأربعين من عمره الرسول الخاتم المختار، بل إن هذا الإعداد قد تعدى ذلك إلى الإعداد الاجتماعي حيث أعد الله محمدًا ليكون نسيجَ وحده بين أهل بلدته مكة، فكان محببًا لهم جميعًا ومقربًا منهم جميعًا. وكان يُعرف بينهم بالصادق الأمين ، ولعل ذلك لم يأت من فراغ بل إن محمدًا انتزع هاتين الصفتين انتزاعًا وذلك لندرتهما على الأقل في أقرانه من الشباب المنكبين على الملذات والذين ضربوا في أعماق الإسفاف والرذيلة التي كانت وسائلهما متاحة، ولاسيما إذا كان هؤلاء من طبقة السادة حيث يتمتعون بحصانة اجتماعية تتيح لهم ما لا يتاح لغيرهم .

وأشير في هذه المقدمة إلى أنني لست بصدد التأريخ لحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد سبقني إلى ذلك كثيرون. وإني لأزعم مرة أخرى أو أجزم مرة أخرى أن شخصية محمد كانت أكثر الشخصيات الجاذبة لأقلام الكتاب والمؤرخين على مر العصور، وإن ملايين الصفحات تناولت هذه الشخصية سواء في كتب مفردة أم في فصول كاملة أم في قصائد بأعيانها أم دواوين كاملة أم في مقالات موضوعية .

ويكفي أن أشير إلى أن سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم حظيت بالاهتمام المبكر على يد ابن هشام، بل قبله بكثير وصولاً إلى كتاب على هامش السيرة للدكتور طه حسين وكتاب محمد للدكتور محمد حسين هيكل وكتاب عبقرية محمد لعباس محمود العقاد وبين كتاب سيرة ابن هشام وكتاب على هامش السيرة فقد كتبت ملايين الصفحات من المسلمين ومن غيرهم من المستشرقين، تتناول هذه الشخصية في شتى جوانبها المختلفة، وجلهم يجمعون على عظمة هذه الشخصية وسموها وعبقريتها، باستثناء بعض الأقلام الحاقدة التي لم تر الحقيقة أو تعامت عنها وسلكت سبيل الضلال والهوى .

ويكفي أن أشير هنا إلى أن جواهر لال نهرو صاحب كتاب لمحات من تاريخ العالم يقول في ما يقول عن عظماء العالم : إن محمد بن عبد الله رسول المسلمين الذي ولد في الجزيرة العربية هو أعظم الشخصيات الإنسانية التي عرفها العالم على مر العصور. ونشير هنا إلى أن نهرو لم يكن هنديا مسلمًا وإنما كان هندوسيًا لا تربطه بالمسلمين أدنى صلة بل لعله كان على عداء مع مسلمي الهند الذين أدى العداء بينهم وبين الهندوكيين إلى انفصال باكستان عن الهند وتأسيس دولتين مستقلتين في القارة الهندية إثر استقلال الهند سنة سبعٍ وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد .

وإني لست بصدد إيراد الشهادات الخاصة التي تشهد للنبي محمد بالعظمة وبالتفوق وبالشرف فهو بهذه الشهادات أو بغيرها رسول الله، اجتباه واختاره من بين خلقه ليكون رسولاً للناس كافة، وهذه تعدل بل تتفوق على كل الشهادات التي أشادت بمنزلة محمد، ومكانته في العالم . ولكي تكتمل الصورة عن شخصية إنسانية مثل شخصية محمد، فيكفي أن نشير إلى أن هذا اليتيم الذي ولد في مكة المكرمة ، استطاع بعد رسالته أن يبدل خريطة العالم في ذلك الوقت ، فبينما كانت الجزيرة العربية منطقة معزولة، وكان العرب – وهم سكانها – بدوًا رحلاً لا قيمة لهم وليس لهم حول ولا طول ، فإن محمدًا وأصحابه من بعده تمكنوا من قهر أكبر إمبراطوريتين في ذلك الوقت وهما الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية ، وإنه خلال أقل من قرن تكونت أكبر إمبراطورية عرفها العالم القديم حيث امتدت المملكة الإسلامية من حدود الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا حتى المغرب والأندلس ومن شمال بحر قزوين في القوقاز وأرمينيا إلى شرق إفريقيا جنوبًا .

والغريب أن هناك أصواتًا تعلو بين الفينة والفينة في أمريكا وفي أوروبا – ولاسيما في شمالها الغربي خصوصًا في الدنمارك – هناك أصوات تعلو لتسخر وتستهزئ بالرسول مدفوعة بالحقد الديني، وتظهر بهيئات غريبة

مستهجنة، يظهرونه مرة إرهابيًا ومرة زير نساء ومرة مدمرًا ومخيفًا ومرعبًا، وذلك إما في كتب مستقلة يتصدى فيها - بكل أسف - أشخاص محسوبون على المسلمين من أمثال كتاب آيات شيطانية لسلمان رشدي البريطاني الجنسية الهندي الأصل، وإما في صورة مقالات ورسوم كاريكاتورية رخيصة على صفحات الصحف، وإما عن طريق أفلام سينمائية وتلفزيونية ساخرة مغرضة، وكل هذه الوسائل تتخذ من الرسول وسيلةً للسخرية وتقدمه بصور شتّى تهدف إلى تشويه شخصيته وإلى النيل منه، ومن الغريب أن كل هذه الأمور تتم تحت ما يسمى بحرية التعبير والروح الديمقراطية التي تقدس حرية الإنسان وحقه في الحياة والمساواة، وهم ينسون أن هذه الحملة الخسيسة على محمد بل على المسلمين إنما تفضح زيف ما يدعون إليه من حرية متوهمة ومساواة في الحقوق لا تساوي الحبر الذي كُتب به ما يسمى بميثاق حقوق الإنسان ، والأغرب من ذلك كله أنه إذا قام بعض المسلمين وهم ممن لهم قناعات خاصة ببعض الأعمال الخارجة عن القانون فإن الغرب يضع كل المسلمين في كفة واحدة، ويعلن الحرب عليهم، ويصفهم ونبيهم بالمخربين والإرهابيين والقتلة والمدمرين والفاشيين ، وهم ينسون أنهم - أي الغربيين- هم من يشعل جذوة هذه التصرفات لأن ما يقوم به المسلمون لا يعدو أن يكون رد فعل آنيًا لما أقدم عليه الغرب ولا يزال يقدم عليه من استعمار البلاد الإسلامية أو احتلالها إذا لزم الأمر طمعًا في ثرواتها الطبيعية التي تشكل المواد الأولية التي يحتاج إليها ، وبين أن تكون بلاد المسلمين سوقًا للبضائع الغربية من مختلف الأشكال والأصناف .

إنّ ما يقوم به المسلمون لا يعدو في الحقيقة أن يكون ردّ فعلٍ آنيًا لما تعرض إليه المسلمون من أذًى بيّنٍ وألمٍ ممضٍّ على يد الغربيين منذ الحروب الصليبية، وانتهاءً بزرع اليهود في فلسطين واحتلال أفغانستان والعراق.

وعندما تجرأت إحدى الصحف الدنماركية ، وتضامنت معها بعض الصحف الأوروبية تحت شعار حرية التعبير ونشرت كل تلك الصحف رسومًا مسيئة للرسول محمد ، ثارت ثائرة المسلمين في كل أنحاء العالم حتى في الدنمارك نفسها ، ومعظم هذه الاحتجاجات كانت سلمية بعيدة عن العنف إلا في القليل النادر . واستمعنا إلى كثير من الدعوات التي تدعو إلى مقاطعة البضائع الدنماركية وبالفعل فقد اتجه الشعب في معظمه إلى المقاطعة وأيدهم كل علماء الدين الذين وقفوا إلى جانب الشعب، ولكن هذه المقاطعة التي ألحقت الأذى بالشركات الدنماركية اصطدمت بارتباطات بعض الدول الإسلامية بالاتفاقات والمعاهدات التجارية، وفي مقدمتها منظمة الغات (منظمة التجارة العالمية) حين بدأت ترتفع أصوات لإنهاء المقاطعة التي تتعارض مع الاتفاقات الدولية، فخفتت تلك المقاطعة، وأصبحت في ذمة التاريخ ، ومن ثم خرجت بعد ذلك علينا سبع عشرة صحيفة تنشر الرسوم ذاتها التي أثارت غضب العالم الإسلامي، انطلاقًا من حرية التعبير التي يقدسها الغربيون ممثلة في الحرية المطلقة التي تتمتع بها وسائل الإعلام، وفي مقدمتها الصحافة التي تعرف بصاحبة الجلالة بالرغم من كون النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو المادة الكاريكاتيرية الساخرة من المسلمين ومن رسولهم ومن معتقداتهم .

والحق أن التوقف عن المقاطعة يعد وصمةَ عار في جبين كل مسلم ومسلمة ليس في العالم الإسلامي فحسب ، وإنما في الوسط الإسلامي في العالم كله ، فنحن وإن يمكننا على مضض أن نفهم وجهة النظر الرسمية للحكومات العربية نتيجة للاتفاقيات والمعاهدات والبروتوكولات التي تربط هذه الحكومات بغيرها من دول العالم ، ولكن العار كل العار أن يتراجع الشعب عن تلك المقاطعة إذ إنه لا الحكام المسلمون، ولا سلطاتهم التنفيذية - لأنهم مسلمون مثلنا ومن بين ظهرانينا- يملكون السلطة لإجبار الناس

العادين على اختيار البضائع التي تنتجها هذه الدول التي تقذف المسلمين ورسولهم، وتسخر وتستهزئ بهم .

فالحكومات لا تملك أن تجبرنا على شراء بضائع معينة تحت أي ظرف من الظروف؛ لأنه لا مصلحة لها في ذلك ، وعندما تبقى هذه البضاعة معروضة دون أن تجد من يطرق بابها ، فإنها ستصبح عرضة للتلف وطعامًا للديدان ويكون مصيرها الحرق والإعدام ، ولا يشفع لنا - نحن المسلمين - عدم وجود بدائل في القصور عن الاستمرار في المقاطعة بل إنني أقول بملء الفم : إن أي مسلم يقدم مختارًا وعن سبق إصرار على شراء بضائع دعا الشعب إلى مقاطعتها وأيدها علماؤه إنما يشارك أهل تلك البلاد وصحفهم في السخرية والاستهزاء بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

أمام ذلك كله فقد وقع على المسلمين مئونة التصدي للدفاع عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون ذلك بالمقاطعة فقط، وإنما يكون ببيان فضل محمد وبيان كنه دعوته ، وإظهار المواقف الإنسانية الكثيرة التي ميزت حياته صلى الله عليه وسلم، وتفسير أحاديثه وتفسير القرآن الذي أنزل عليه ، وحبذا لو كان ذلك يتحول حقيقة ملموسة، ولاسيما إذا قامت هيئات أو أفراد مقتدرون على ترجمة ذلك إلى اللغات الحية حتى تصل أولئك الذين لا يزالون يقفون مع تلك الصحف التي تتخذ من الرسول مجالا للسخرية والاستهزاء ، وحين ذلك نكون قد أدينا ما يجب علينا من مسئولية تجاه الرسول الكريم .

وقد كان المسلمون يضطرون في كثير من الأحيان أثناء الفتوحات الإسلامية إلى محاصرة بعض الحصون أيامًا كثيرة ، فيخرج من بداخل تلك الحصون يسبون الرسول نكاية بالمسلمين ، وحينئذ يعرف المسلمون أن فتح الله أصبح قريبا ؛ لأنهم يعلمون صدق قوله تعالى (إن شانئك هو الأبتر) أي مبغضك ومعاديك فيفتح الله عليهم بعد ذلك، فالله هو المنتقم الجبار

الذي سينتقم لرسوله وهو القادر على ذلك والكفيل به إذا نحن أحسنا الظن بالله والظن بأنفسنا، ولم نقلل من إمكاناتنا، ولم نقتصر على البكاء والعويل كلما تعرض الرسول لبذاءات أولئك الحداثيين والمستهترين من المسلمين وغيرهم من الأوروبيين، ويكفي أن يعلم هؤلاء أن المسلمين - وهم أتباع محمد رسول الله- يكنون الاحترام والتعظيم لكل الأنبياء، ويتبعون ذكر كل واحد منهم بقولهم: عليه السلام .

إن هذا الموقف غير المتكلف هو الفيصل بيننا وبين أصحاب الديانات الأخرى الذين يتنقصون نبينا ويسخرون من ديننا ويكفي أن نعلم أن الكنائس النصرانية والكُنُسَ اليهودية لم تصب بأذى في ظل الحكم الإسلامي على مدى التاريخ ، بل إن مفاتيح كنيسة القيامة - ونتيجة لخلافات المذاهب المسيحية المختلفة وباتفاقهم- يحتفظ بها المسيحيون عند عائلة مقدسية مسلمة فتأملْ . ومما لا ريب فيه أن ضعف المسلمين هو الذي يغري أعداء الأمة بالتطاول عليها والاستهزاء بمعتقداتها وبرسولها .

وانطلاقًا من حبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبِ ملايين بل ما يزيد على مليار مسلم للرسول ، فقد قررت بتوفيق من الله وقناعة من داخل نفسي بوضع منظومة شعرية تستغرق حياة الرسول من مولده إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، علها تكون شفيعي بين يدي الله سبحانه وتعالى حين لقائه ، وحتى تكون مرجعًا لمحبي هذا النوع من الأدب من طوائف المجتمع أطفالاً وشبابًا وكهولاً وشيوخًا من الجنسين ، وقد توخيت أن تكون مبرأة من المبالغة والمين (الكذب) وكان اعتمادي الأول والأخير في هذه المنظومة على السنة النبوية المبرّأة من الزلل والمبالغات ، ولم أنزلق إلى التهويل والتلفيق، لاعتقادي أن ذلك لا يتمشى مع عظمة وجلال هذا العمل الذي أضطلع به ، وقد أسميت هذا العمل ألفية شكري سمارة في خير خلق الله والبشارة - لوحات شعرية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأن هذه المنظومة تجاوزت الألف بيت ، ولكني تردّدتُ في الثبات على هذا العنوان ،

وأخيرًا قرَّ رأيي على اختيار عنوان — الروضة الندية في السيرة المحمدية لوحات شعرية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو — على ما يبدو — أبعد عن التقليدية ، وأشدُّ وقعًا في النفس .

ولا أزعم أنني أول من تناول حياة الرسول محمد بهذا الأسلوب— أعني أسلوب النَّظْم فقد تناوله الشعراء على مر التاريخ، وتحدثوا عن مناقبه، كما تناولوا معجزاته، وقد كان ذلك من خلال قصائد مستقلة أو دواوين ، وقد كان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن زهير وغيرهم من أوائل من كتب القصائد الطوال في رسول الله محمد، وقصيدة كعب بن زهير المعروفة بالبردة حيث خلع الرسول عليه بردته بعد أن انتهى من إلقائها، مرورا ببردة البصيري والشعراء الذين قلدوه —وهم كثر— وعلى رأسهم أحمد شوقي، بالرغم من بعض الاحترازات التي يعدها بعض العلماء من الشركيات— لعلها تبرز اهتمام الشعراء بالرسول .

وفي العصر الحديث فإن ديوان مجد الإسلام للشاعر المعاصر أحمد محرم— الذي يحلو للبعض أن يطلقوا عليه الملحمة الإسلامية— يعد عملاً فريدًا إذ إن الديوان كله يدور حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحق أنني لم أقرأ هذا الديوان فلا يمكنني أن أقارن بين ما كتبته في هذه اللوحات من حياة الرسول وبينما كتبه الشاعر أحمد محرم ، ولعلي أحمد الله أني لم أقرأه ، لكي لا أتهم نفسي أني تأثرت بما كتب ، ولكني سأقرأ هذا الديوان —إن شاء الله— بعد خروج هذا الكتاب أو هذه المنظومة إلى الوجود .

وقد حرصت —كما قلت سابقًا— أن أتحرى الدقة في الحوادث التاريخية والاجتماعية والسياسية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أنني حرصت كذلك على أن أتتبع حياته منذ ولادته وطفولته وشبابه واعتزاله الناس في غار حراء ثم بعثته وما تعرض إليه من المقاومة من المشركين، كما صحبت الرسول في حصاره في مكة وفي هجرته إلى المدينة وفي غزواته المختلفة

ابتداءً من غزوة بدر مرورًا بفتح مكة وحنين وانتهاءً بغزوة تبوك ثم وفاته صلى الله عليه وسلم .

ولكي تكون هذه المنظومة واضحة جلية للقارئ ، فقد ذيلتها بتفسير بعض الكلمات الصعبة ، وكذلك بعض الإشارات التاريخية وبعض الأعلام التي تساهم في توضيح وجلاء حياته وإلقاء الضوء على الدعوة التي اضطلع بها ، وحمل مسئوليتها ، وتجشّم ألوانًا من العذاب والاضطهاد والاغتراب والكفاح في سبيل نشر هذه الدعوة السامية المباركة أمام عناد المشركين وتعنّتهم وصدهم عن سبيل الله سرًّا وعلانيةً بالقول وبالفعل ، وباللسان وبالسيف .

ولا يساور المنصفين أيُّ شك مهما كانت انتماءاتهم وتوجهاتهم، ومهما اختلفت مشاربهم –أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أكمل وأعظم وأكرم شخصية عرفها التاريخ منذ كان آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . فمحمد اجتباه ربه ليكون رسولاً للثقلين من الإنس والجن كافة ، فجاوز بذلك المحلية التي قصرت رسالات الأنبياء الآخرين على أقوامٍ بأعيانهم ، وعلى أماكن محدودة بأعيانها ، مع الاعتراف لكل الأنبياء بالفضل وسمو المكانة، فكلهم - عليهم السلام - كانوا إرهاصًا لشروق شمس الإسلام وبزوغها بنزول القرآن وحيًا من الله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فمحمد الذي أدبه الله وأحسن تأديبه، ووصفه بأنه على خلق عظيم، وهو الذي بعثه الله ليكون رسولاً ومبلغًا لخير أمةٍ أخرجت للناس أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعبد الله الواحد وتدين بعقيدة التوحيد ، وتؤمن بالقرآن دستورًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ما كان ذلك ليحدث لولا عبقرية محمد وصبره على قومه وإنسانيته التي وسعت أعداءه وأصدقاءه على حد سواء .

وليس أدل على عظمة هذا الدين، وعلى سمو مكانته، وعلى علو شأنه، من أنه بالرغم من كل الهجمات التي تُشَنّ عليه فإنه لا يزال يجذبُ إليه

المئات ممن يعتنقون الإسلام كل يوم في شتى أرجاء العالم في الشرق والغرب على حد سواء، ولاسيما في أوروبا والأمريكتين، مما جعل الكثيرين من الأصوات المعادية للإسلام والمسلمين يرفعون أصواتهم عالية محذرة من خوفهم من انتشار الإسلام بالرغم من كل العراقيل التي يضعونها لعرقلة تقدم الإسلام والمسلمين .

فما أحوجنا نحن المسلمين –في شتى أنحاء العالم الإسلامي– أن نتمسك بهذا الدين فعلاً وقولاً! وأن نتمسك بالدفاع عن العقيدة الإسلامية المبرأة من الهوى! وأن نعض بالنواجذ على مصادر التشريع فيها وأهمها القرآن الكريم والسنة المشرفة! وما أحوجنا إلى أن ندافع عن مبلغ هذه الرسالة إلى العالمين محمد صلى الله عليه وسلم! فجزى الله محمداً –صلى الله عليه وسلم– عن البشرية خير الجزاء، وجمعنا به في جنات الخلد، وروضات النعيم ، فقد –والله– بلغ الرسالة ، وأدّى الأمانة وامتثل لأمر الله الذي أرسله رحمة للعالمين؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديَهم إلى سواء السبيل سبيل الهداية والرشاد ، وينقذهم من الضلال ، ويقودهم إلى الخير المطلق الذي تصلح به حياتهم في الدنيا والآخرة. ولا يفوتني في هذا المقام أن أشير ببالغ الشكر والعرفان إلى الجهد الكريم الذي بذله الأستاذ عبدالرحيم محمد إسماعيل الراوي في إخراج هذا العمل إلى النور ليصبح حقيقة ماثلة للعيان ، فجزاهُ الله خير الجزاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين .

د. شكري محمد سمارة

المدينة المنورة – في الخامس عشر من شهر صفر ١٤٢٩هـ

الرّوضة النّديّة في السيرة المحمّدية

نور الحقيقةِ أشرقا م في مكةٍ[1] وتألّقا
وُلِدَ الأمينُ[2] بأرضِها والمجدُ فيها حلَّقا
بسَمَ الزمانُ لمولدٍ كان البدايةَ للتُّقى
في عامِ فيلٍ[3] كان مو م[4] لدُهُ بشيرًا مُشرِقا
قد عادَ أبرهةٌ[5] بجي م شِ الفيلِ إذْ قد أخفقا
قد عادَ أبرهةٌ بجي م شِ الفيلِ يصحبُهُ الشقا
فشلاً جنى ومهانةً ندمًا يعضُّ المِرْفقا
وبمكةٍ سادَ السرورُ ولها السلامُ تحقّقا
في ذلك اليومِ العظي م مِ وكان يومًا أبلقا[6]
وُلِدَ الهدى للأمِّ آ م منةٍ[7] ونورٌ أُطْلِقا
ليُضيءَ أرجاءَ البسي م طةِ ناصعًا قدْ أبرقا
كانَ اليتيمَ أبًا وربْ م بُكَ شاءَ أن يتفرقا
فرحَ الجميعُ بمولدٍ فاللهُ أنعَمَ مُغْدِقا

---

1 مكة المكرمة أو بكه ولها أسماء كثيرة ، وتعرف بأم القرى ، تبعد عن مدينة جدة نحوا من ٧٠ كم . وبها المسجد الحرام والكعبة المشرفة قبلة المسلمين ، والعاصمة الدينية للملكة العربية السعودية.

2 لقب عرف به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بين أهل مكة ، ولد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بشعب بني هاشم بمكة في يوم الاثنين الثاني عشر على خلاف في يوم مولده بين التاسع والثاني عشر من شهر ربيع الأول .

3 العام الذي توجه به أبرهة الحبشي بأفياله لهدم الكعبة ، ويعتقد أنه سنة ٥٧٠ م.

4 حرف الميم يدل على التدوير أي أن كلمة واحدة اشتركت في الصدر والعجز.

5 أبرهة الأشرم قائد جيش الفيل من الأحباش أراد تدمير الكعبة وبناء كنيسة باليمن يزاحم بها البيت العتيق.

6 شديد البياض .

7 هي آمنة بنت وهب من بني زهرة ، ماتت عن الرسول وعمره ٦ سنوات.

بمحمـــدٍ نـــورِ الهـــدى ... نـــورِ الهدايـــةِ والنَقـــا

والجـــدُّ بالطفـــلِ الوليـــ م دِ إلى العنـــانِ قـــد ارتقـــى

فَـــرَحٌ يهُـــزُّ كيانَـــهُ ... بـــابنِ العزيـــزِ قـــد التقـــى

فـــالإبنُ عبـــدُ اللهِ[1] عـــا م دَ فلـــن تـــراهُ مُؤرَّقـــا

بركـــاتُ أحمـــدَ قـــد بـــدتْ ... في بيـــتِ جـــدٍّ أطرقـــا

متـــأمِّلاً ومفكِّـــرًا ... عبثًـــا يُجيـــلُ المنطِقـــا

لكِـــنْ أحـــسَّ براحَـــةٍ ... والغـــمُّ عنـــهُ تفرّقـــا

فـــاللهُ للمولـــودِ خـــي م رٌ حافظًـــا وموفّقـــا

عـــن مكّـــةٍ صَـــرَفَ العـــدو م و أذلَّ ذاك (الأحمقـــا[2])

واللهُ أبْدلَـــهُ بعـــبْ م دِ اللهِ طفـــلاً مُنتَقـــى

مجـــدًا يُحقّـــق للـــوَرَى ... والمجـــدُ صـــعبُ المرتقـــى

ليُعِـــدَّهُ ربُّ الـــورَى ... للمجـــدِ مجـــدًا أسمقـــا[3]

خلـــقَ الإلَـــهُ محمَّـــدًا ... ليكـــونَ خـــيرًا مطْلقـــا

يُحيـــي بـــهِ سُـــننَ الهُـــدى ... ويزيـــلُ ظُلمًـــا مطبقـــا

ويُزيـــلُ جهـــلاً ضـــاريًا ... ويـــنيرُ عقـــلاً مُغْلَقـــا

فهـــو المـــلاذُ لخلقِـــهِ ... ممـــنْ أنـــابَ أو اتّقـــى

خـــيرًا أرادَ بخلقِـــهِ ... وإلى الهدايـــةِ وَفّقـــا

---

1 عبد الله بن عبدالمطلب ، ابو الرسول صلى الله عليه وسلم ، مات ولما يكن رسول الله قد ولد .

2 أبرهة الأشرم.

3 شديد الارتفاع.

رَضَاعتُه صلى الله عليه وسلم وشقُّ صدرِه

تأتي حليمةُ[1] ساعية مِن قلبِ تلكَ الباديةْ
في صُحبةٍ من نِسْوةٍ يقصِدْنَ تلكَ الناحيةْ
ولمكةٍ كان المسيرُ أحلامُهَا مُتَسامِيَةْ
كانت تُفَتِّشُ عن رضيـ م ـعٍ ذي صفاتٍ عاليةْ
لتنالَ منهُ عيشَهَا في أرضِ مَحْلٍ جافيةْ
لكنها يئِسَتْ ولمْ تظفرْ بما هي ناويةْ
فبناتُ سعدٍ قدْ سبقْ م ـنَ حليمةً متوانيةْ
فظفِرنَ بالخيرِ العمي م ـمِ من الأجورِ الغاليةْ
وحليمةٌ قد أُرهِقتْ والبطنُ منها خاويةْ
لم تلقَ غيرَ محمدٍ قالتْ بنفسٍ صافيةْ
فلأَ خذَنْ هذا اليتي م ـمَ أضمُّهُ خيرًا ليَ
من أن أعودَ إلى الديا م ـرِ حزينةً ومُجافيةْ
قالوا خذيهِ وأبشري فيهِ الكرامةُ باديةْ
ضمّتهُ للصدرِ الحنو م ـنِ هي الصبورُ العانيةْ
قدْ ألقمَتْهُ الثديَ ثد م ـيَ الخيرِ ثدياً ذاويةْ
فجرى الحليبُ بثديها يفيضُ مثلَ الساقيةْ
فاستغرَبتْ واستبْشَرتْ برضيعِها متباهيةْ

---

1 حليمة السعدية – من بادية بني سعد بالقرب من مكة ، مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

نظـــرَتْ إليـــه فَرَاقَهـــا ... وجـــهٌ تهلَّـــلُ ضـــافية

والظِّئــرُ[1] أيــضاً أرضــعتْ ... للجــوعِ كانــتْ شــافية

نَعِمَــا بثـــرِّ حليبِهـــا ... واستبـــشرا بالعافيـــة

أخَـــذَتْهُما في فرحـــةٍ ... تـــسعى وشمـــسٍ حاميـــة

لكنهـــا لم تَلْتَفِـــتْ ... للحـــرِّ أو للواريـــة

نظـــرَتْ فتلـــك غمامـــةٌ ... تـــسيرُ فـــوقَ الراغيـــة[2]

عجِبَـــتْ لِـــذاكَ ومـــا دَرَتْ ... أنَّ الـــسماءَ مُراعِيـــة

وصلتْ إلى البيـتِ الكئي م ... بِ بـــسرعةٍ متناهيـــة

فاستـــشعرَتْ أن المكـــا م ... نَ مرحِّـــبٌ بالآتيـــة

شـــاعَتْ بـــه البركـــاتُ إذْ ... كانـــت دهـتُـــهُ الداهيـــة

والـــضَّرْعُ فـــاضَ برزقـــهِ ... مـــن شـــاتِها والراغِيـــة

وحياتُهـــا صـــارتْ رَخـــا م ... ءً أُبـــدِلتْ مـــن قاســـية

بركـــاتُ هـــذا الطفـــلِ عم م ... مـــتْ بيتَهَـــا والـــضّاحِية

طفـــلٌ أتـــى في ذاتِ يـــو م ... مٍ والحليمـــةُ لاهِيـــة

في حَلْـــبِ ناقَتِهـــا وشـــا م ... ةٍ مـــن حليـــبٍ ثاغيـــة

أُمَّـــاهُ قـــالَ مُترجِمًـــا ... عـــن نفـــسِهِ المتهاويـــة

رجـــلانِ جـــاءا مـــن علٍ ... نـــزلا بتلـــك الرابيـــة

مـــن بينِنـــا أخـــذا أخـــي ... ظئـــري بأيْـــدٍ حانِيـــة

---

1 الأخ من الرضاع.

2 الرغاء صوت الأبل ، والراغية الناقة التي تركبها.

والصدرَ شقّا دونما ... تجري دماءٌ قانية
واستخرجا من قلبِهِ[1] ... سوداءَ مثلَ زبانية
والصدرُ عادَ لسمْتِهِ ... وأخي جَفَتْهُ الباكية
بلْ راحَ يلعبُ ضاحكًا ... في بهجةٍ ورفاهِية
قَلَقٌ بدا في نفسِها ... فتأمَّلَتْ في الراوية
شعرَتْ بصدقِ مقالِهِ ... خرّتْ رَؤومًا[2] داعية
إنّي أخافُ عليهِ منْ ... مكرٍ ونفسٍ غاوية
سأعيدُهُ لقبيلِهِ[3] ... إذ لا علَيَّ ولا لِيَ
فالطفلُ قدْ بلغَ الفِطا م ... مَ أصيرُ أُمًّا ثانية
شربَ الفصاحةَ واستقى ... سُبُلَ البيانِ الضافِية
سأعيدُهُ خوفًا عليْ م ... هِ من الفئاتِ الباغِية
فالأمُّ أولى بابنِها ... فهي الرؤومُ الآسية
حاولتُ قبلاً عَوْدَهُ ... لكِنْ أحاولُ ثانِية
هذي أمانتُهُمْ لديْ م ... يَ أُعيدُها متفانِية
وإذا المساءُ أتى غدًا ... أعددْتُ تلك السارية
فلِمكّةٍ غدًا المسي م ... رُ لنظفرَنْ بالآتِية

---

1 روى مسلم عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ،فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج منه علقة ، فقال هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم .
2 عطوفا .
3 لقبيلته وفريقه (أهله)

في بيت جدّه ثم في بيت عمه

واشـــتدَّ عــودُ محمّـــدٍ ولجــدّهِ[1]   عــادَ الفتــى بالفــألِ والبركــاتِ

قالــتْ حليمـــةُ إنَّــني أودعـــتُكُمْ   قلــبي وطفــلاً واضــحَ اللمحــاتِ

مــذ صــارَ في حــضني رضــيعًا ليِّنًــا   بــيتي يــضجُّ بــوافرِ الخــيراتِ

فــرحَ الجميــعُ بمقــدمِ الطفــلِ الــذي   أضــفى عليـــهِ اللهُ خــيرَ صــفاتِ

والجـــدُّ فيـــه فراســـةٌ وتمعُّـــنٌ   أنبــى بمـــا يخفيـــهِ مـــن حــسناتِ

فمحمـــدٌ يُـــنبي بحـــسنِ تـــصرُّفٍ   وســـلوكِهِ عـــن بعـــضِ مـــا هـــو آتِ

ولـــذاكَ كـــانَ الجـــدُّ يبـــذُلُ جَهـــدَهُ   ليـــصونَهُ مـــن غـــادرٍ وعُـــداةِ

يُدْنيـــهِ منـــهُ آمـــلا فكأنمـــا   إحـــساسُهُ يُخـــبرُهُ بالومَـــضاتِ

فالطفـــلُ ميَّـــزَهُ نُبـــوغٌ زانـــهُ   عـــن غـــيرِهِ مـــن صـــبيةٍ ولِـــداتِ[2]

لكـــنَّ ذاكَ الجـــدَّ يقـــضي نحبـــهُ   جَـــلَّ الـــذي يحيـــا بغـــيرِ مَمـــاتِ

يُـــضحي محمـــدُ بعـــدَ ذاك وعَمُّـــهُ[3]   حَـــدِبًا عليـــهِ ملطِّـــفَ النكبـــاتِ

فيحِـــلُ عنـــدَ العـــمِّ خـــيرٌ وافـــرٌ   مـــن بعـــدِ فقـــرٍ مـــدقعٍ[4] وفُتـــاتِ

كَثُـــرَ البنـــونَ لديـــه فهـــو مـــؤرَّقٌ   يـــشقى ويتعـــبُ دائـــمَ الأزمـــاتِ

لكـــنّ مُكْـــثَ محمـــدٍ في أهلِـــهِ   أهـــدى إليـــهِ الخـــيرَ والنَجَـــداتِ

قـــد كـــانَ يـــأتي بالقليـــلِ مـــنَ القِـــرى[1]   يكفـــيهِمْ ويزيـــدُ في الـــصُحُفاتي[2]

---

1 عبد المطلب أبو الحارث ، جد رسول الله ، كان كريما شجاعا عادلا خرج الى أبرهه في عام الفيل وهو القائل : للبيت رب يحميه ردا على أبرهه عندما سخر منه لطلبه إبله .

2 رفاقه الذين في سنه .

3 أبو طالب عمه .

4 شديد .

والعـــمُّ مثـــلُ الجـــدِّ أدركَ أنـــهُ | يُـــدْعى لحفـــظِ أمانـــةٍ لغَـــداَةِ
فقـــد استـــشفَّ بخـــبرةٍ وفراســـةٍ[3] | وبفطـــرةٍ مُنِحـــتْ لمثـــلِ قُـــضاةِ
أنَّ الـــصبيَّ يُـــرادُ للأمـــرِ الـــذي | يخفـــى عليـــهِ مغيَّبًـــا في الآتـــي
هـــو لـــيس كالأطفـــالِ في أحلامهـــمْ | لم يُلهِـــهِ لعـــبٌ وســـوءُ لَهـــاةِ
متـــأملًا يمـــضي وحُـــسنُ سلـــوكِهِ | بـــادٍ بفطرتِـــهِ وحـــسنِ صِـــلاتِ
شـــبَّ الـــصبيُّ علـــى الفـــضيلةِ زانَـــهُ | خُلُـــقٌ جميـــلٌ ظـــاهرُ اللفتـــاتِ
والوجـــهُ مثـــلَ الخُلْـــقِ أضـــحى مـــشرِقًا | والجـــسمُ يربـــو ظـــاهرَ العـــضلاتِ
عُـــرِف الأمـــينُ بمكّـــةٍ وشـــعابِها | فهـــو الأمـــينُ لخـــصمهِ وبغـــاةِ
يرعـــى القطيـــعَ لعمِّـــهِ في خَلـــوةٍ | ليُعينَـــهُ في رزقِـــه ويُـــؤاتي
متـــأمِّلًا في الخَلْـــقِ يرعـــى شـــاءَهُ | ويهـــيمُ بـــالأجواءِ والفلـــواتِ
والـــشاءُ قـــد سمنَـــتْ وزادتْ أنعُمًـــا | وازدادَ أيـــضًا حقـــدُ بعـــضِ رعـــاةِ
لكنـــهُ الـــرحمنُ بـــالخيرِ اصـــطفى | مَـــنْ شَـــاءَهُ للـــوحيِ والرحَمـــاتِ
وتمـــرُّ أعـــوامٌ فيـــصبحُ بالغًـــا | شَـــرْخَ الـــشبابِ وواثقًـــا بالـــذاتِ
والعـــمُّ يـــصحَبُهُ لـــبعضِ تجـــارةٍ | للـــشامِ يأخُـــذُهُ إلى الغُرُبـــاتِ
بـــالقربِ مـــن دَيْـــرٍ أنـــاخوا إبْلَهُـــمْ | كـــي يـــستريحوا مـــن عنـــا الطُرُقـــاتِ
يـــأتي مـــنَ الـــدَّيْرِ المجـــاوِرِ راهِـــبٌ | وإلى الفتـــى يـــستعجِلُ الخُطُـــواتِ
ويقـــولُ أيـــن ولـــيُّ أمـــركَ يـــا فتـــى | والعـــمُّ يـــدنو ظـــاهرَ البـــسماتِ

---

1 في الأصل ما يقدم للضيف من طعام.
2 الأواني الخاصة بالطعام
3 قوة الملاحظة.

هذا (بُحَيْرى)[1] راهبٌ ومبجَّلٌ … في القوم قِسٌّ ثاقِبُ النظراتِ

لمن الصبيُّ؟ فقالَ لي يا قِسُّ لي … ابن الأُخَيِّ[2] فديتُهُ بحياتي

احرص عليهِ وكنْ لهُ حِصنًا ولا … تغفَلْ فإنَّ الشرَّ في الغَفَلاتِ

هذا نبيٌّ زانَهُ ربُّ الوَرَى … بصفاتِ رُسْلٍ وهي خيرُ صفاتِ

انظُرْ إلى ختمِ النبوَّةِ ظاهرًا … هذي العلائمُ للرسولِ الآتي

واحذرْ إذا ما عدتَ نحو دياركمْ … مكرَ اليهودِ ومكرَ كلِّ دُهاةِ[3]

موسى وعيسى بشَّرا بقدومِهِ … والنصُّ في الإنجيلِ والتوراةِ

لكنَّهُمْ أخفَوْا علائمَ رسمِهِ … من كتْبِهِمْ إذْ حرَّفوا الآياتِ

فهمُ عصاةٌ سوف يظهَرُ مكرُهُمْ … واللهُ لا يهدي سبيلَ عصاةِ

لكِنْ برَغْمٍ منهُمُ فمُحَمَّدٌ … هو خاتَمٌ للرسْلِ والدعَواتِ

حَذَقَ[4] التجارةَ عارفًا بأُصولِها … والعمُّ آزرَ صادقَ العزماتِ

---

1 يقال إن اسمه جرجس ومقامه ببصرى الشام.

2 مصغر اخ .

3 جمع داهية وهو الماكر اللئيم .

4 أجاد .

زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها

وَيشيعُ ذكرُ محمّدٍ بتجارةٍ ... وخديجةٌ[1] تسعى بغيرِ أناةِ

عرضتْ عليهِ تجارةً مرموقةً ... فهو الجديرُ ليُربيَ الثَروَاتِ

فأدارَ أعمالًا لها بجدارةٍ ... وتفكُّرٍ بأمانةٍ وثباتِ

عرضتْ عليهِ زواجَها فأجابَها ... رغمَ اختلافِ المالِ والسنواتِ

خطبتهُ إذْ وجدَتْ ملاذًا آمنًا ... ليُديرَ ثروتَها حبيبُ حياةِ

والعمُّ[2] باركَ جاءَ يسعى خاطِبًا ... حَظِيَ الأمينُ بأنبلِ الزوجاتِ

أغنتْهُ ثم حمتهُ من غِيَرٍ[3] أتَتْ ... وهَبَتْ لهُ حُبًّا ووضعَ بناتِ

زادتْ خديجةُ فرحةً بزواجِها ... بعدَ اختصامِ القومِ والساداتِ

تجديدَ بيتٍ أزمعوا إذ قد بدا ... في بيتِ إبراهيمَ بعضُ هَنَاتِ

قالوا نعيدُ بناءَهُ وتسابقوا ... في بذلِ مالٍ طاهرٍ لبُناةِ

هدموهُ ينوون التنافسَ كي يُرى ... بيتًا عظيمًا شامخَ الذُرْواتِ

ويكونَ بيتًا شاهدًا بفِعَالِهمْ ... بينَ الورى يختالُ بالحسَنَاتِ

فالأشرمُ المغرورُ شاءَ كنيسةً ... يُغري بها الحُجَّاجَ والحَجَّاتِ

لينافِسَ البيتَ العتيقَ كرامةً ... بئسَ الحقودُ وضلَّ ذاكَ العاتي

حَجَرٌ يتيهُ على الحجارةِ كلِّها ... آتٍ من الفِردَوسِ والروضَاتِ

---

1 خديجة بنت خويلد ، قرشية ، ذات شرف ومال ، أولى زوجات رسول الله ، خطبته لنفسها لأمانته وكانت في الأربعين من عمرها بينما كان في الخامسة والعشرين ، كفته بمالها وأول المؤمنات من النساء .

2 أبو طالب .

3 مصائب .

أهـــداهُ ربُّ العـــالمينَ خليلَـــهُ ... رمـــزًا يفـــيضُ بـــوافِرِ البركـــاتِ

هـــو أســـودٌ ومبجّـــلٌ في رُكنِـــهِ ... نلقـــاهُ بالتمجيـــدِ والقُـــبلاتِ

مـــن ذا الـــذي يـــضعُ الكـــريمَ مكانـــهُ ... الكـــلُ قـــالَ أنـــا وحـــقٌ (مَنـــاةِ)

دبَّ التخاصـــمُ بيـــنهمْ وتعـــاركوا ... كـــادَ الخـــصامُ يقـــودُهُمْ لقـــلاةِ[1]

قـــالوا يبُـــتُّ الأمـــرَ أوّلُ قـــادمٍ ... فهـــوَ المُحَكَّـــمُ نافـــذُ الكلمـــاتِ

ولحكمَـــةٍ ســـاقَ الإلَـــهُ أمينَـــهُ ... بـــدرًا يـــضيءُ بحالـــكِ الليـــلاتِ

قـــالوا الأمـــينُ أتـــى وأكـــرِمْ بالـــذي ... شـــهدَ الجميـــعُ لـــهُ بطيـــبِ صـــفاتِ

قـــصُّوا عليـــهِ الأمـــرَ مـــن ألِـــفٍ إلى ... يـــاءٍ فـــلاحَ البِـــشْرُ في القـــسماتِ

يـــأتي بثـــوبٍ ثـــم يفرشـــه لهـــم ... والأســـوَدُ المقـــصودُ في الكنَفـــاتِ

هيـــا احملـــوه جمـــيعُكمْ وتـــآزروا ... لا فـــرقَ بـــين فقيرِكـــمْ وسُـــراةِ[2]

رفعـــوه مجـــتمعين فَـــضَّ خـــصامَهُمْ ... ذاكَ الأمـــينُ بـــأبينِ الحِكْمـــاتِ

فـــرحَ الجميـــعُ بمـــا أتـــاهُ محمّـــدٌ ... مـــن حـــسنِ تـــدبيرٍ ولَـــمٍّ شَـــتَاتِ

ويمينُـــهُ تلـــكَ الكريمـــةُ ثبَّتـــتْ ... حَجَـــرَ الجنـــانِ بأقـــدَسِ القِـــبْلاتِ

---

1 القلاة – البغض والكراهية .

2 السادة .

تأمُّله صلى الله عليه وسلم في الحياة وفي الكون من حوله

متأملًا في الكونِ عاشَ محمّدٌ ... لم تستمِلهُ عبادةُ الأصنامِ
بَرِمًا[1] بها لمْ يسجدَنْ يومًا لها ... ويعُدُّها ضربًا من الأوهامِ
والقومُ تاهوا في الضلالةِ أمعنوا ... والجهلُ قادَهُمُ للاستسلامِ
أوثانَهُمْ عبدوا بغيرِ تدبُّرٍ ... جهِلوا كمثلِ بهيمةِ الأنعامِ
عبدوا الحجارةَ دونَ أن يتفكروا ... شاعَ الضلالُ وعمَّ في الأفهامِ
والخمرُ شاعتْ فيهمْ وبميسرٍ ... كلِفوا وضلُّوا عن جميلِ مُرامِ
وسرى الزِّنا فيهِمْ وفاخرَ جُلُّهُمْ ... بالموبقاتِ على مدى الأيامِ
والغزْوُ دَيْدَنُهُمْ[2] وسبيُ نسائهمْ ... يودي إلى التخليطِ في الأرحامِ[3]
ومحمّدٌ عن كلِّ ذاك منزَّهٌ ... يرعى العهودَ ويلتزمْ بذمامِ
فالنفسُ ذاهلةٌ عن الأمرِ الذي ... يودي إلى الإهلاكِ والإسقامِ
في الأربعينَ غدا يفكّرُ منكِرًا ... ما عمَّ في الأهلينَ من إظلامِ
عبثًا يحاولُ أن يكونَ كمثلِهِمْ ... عن ذاكَ يصرفُهُ الإلهُ السامي
يقضي الليالي في حِراءَ[4] مفكّرًا ... في الخَلْقِ في التكوينِ في إسهامِ
يرعى النجومَ ويغتدي لم يأتِهِ ... نومٌ فيبقى دائمَ الآلامِ
والعمُّ والأهلونَ منه تذمَّروا ... من هجرِهِ أهلًا بشِعْبٍ ظامي

---

1 منزعجا ومتضايقا .
2 طبعهم .
3 اختلاط الأنساب .
4 غار في جبل النور على بعد ميلين من مكة .

قـــد فـــارقَ البيـــتَ الكـــريمَ وزوجـــةً   تـــدعو لـــهُ بـــالخيرِ والإنعـــامِ

وتعينُـــهُ في مـــا يريـــدُ وقلبُهـــا   متعلّـــقٌ بمحمّـــدِ القـــوَّامِ

تـــركَ الـــوثيرَ[1] مـــنَ الفـــراشِ وبـــاتَ في   غـــارٍ ببَـــرٍّ واســـعٍ مـــترامِ

وبحـــسِّها تـــدري خديجـــةُ أنـــهُ   للخـــيرِ مـــاضٍ ممطـــرًا كغمـــامِ[2]

فمحمّـــدٌ وهـــي الخـــبيرُ[3] بزوجِهـــا   بـــدرٌ تَبَـــدَّى نـــورُهُ بظـــلامِ



---

1 الفراش المريح .

2 السحاب .

3 العالمة ويستوي فيه المذكر والمؤنث .

نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم

لـيلاً طـويلاً في العـراءِ قـضاهُ ... متـأملاً في الكـونِ في دنيـاهُ
ضـحكَ النهـارُ وشمـسهُ قـد أشـرقتْ ... اللّـهُ مـن عليائـهِ جـلاّهُ
ومحمّـدٌ للغـارِ يُهْـرَعُ مـسرعًا ... فكأنمـا ربُّ الـسماءِ دعـاهُ
بَيْنـا محمـدُ جـالسٌ في غـارِهِ ... فـإذا بـشيءٍ كالـضبابِ يـراهُ
ويُفاجـأُ الكهـلُ الـرزينُ بقائـلٍ ... اقـرأْ ولكـنْ لم تفُـهْ[1] شَـفتَاهُ
فيُعيـدها ثِنـتينِ ثـمَّ يجيبُـهُ ... مـا إن قـرأتُ ولا يـشاءُ اللّـهُ
قـدْ شـاءَ ربُّـكَ فـاقرأَنْ باسـمِ الـذي ... خلَـقَ الأنـامَ وكونَـهُ سـوّاهُ
فلتقـرأَنْ باسـمِ الإلـهِ كرامـةً ... مـن ربِّنـا المعبـودِ في علْيـاهُ
قـدْ علَّـمَ الإنـسانَ أذهـبَ جهلَـهُ ... قلَمًـا يـسيلُ بحكمـةٍ أعطـاهُ
ويـضُمُّهُ ضـمًّا شـديدًا قـائلاً ... أنـت البـشيرُ لـكَ العُلـى والجـاهُ
قـد خـصَّكَ المولى بواسـعِ فـضلِهِ ... لتكـونَ للـثقلينِ[2] ممـنْ تـاهوا
تهـديهُمُ للحـقِّ للنـورِ الـذي ... يـشفي الـصدورَ وربُّنـا يرضـاهُ
أنـتَ الرسـولُ الحـقُ أنـتَ نبيُّـهُ ... أنـتَ النـذيرُ وربُّنـا يرعـاهُ
بلِّـغْ بـأمرِ اللهِ خـيرَ رسـالةٍ ... جِنًّـا وإنـسًا والتـزمْ بهُـداهُ
بلِّـغْ عـنَ اللهِ العظـيمِ أوامـرًا ... ونواهيًـا لمـن اشـترى أخـراهُ
مـنْ أنـتَ ؟ قـالَ محمـدٌ في رهبَـةٍ ... ملَـكٌ أنـا واللّـهُ قـدْ أعـلاهُ

---

1 ينطق .

2 الإنس والجن .

جبريلُ إنّي والإلَهُ تكرُّمًا   بالوحيِ يرسلُني لمنْ ناداهُ

والصوتُ ينأى في السماءِ محلّقًا   وتُردِّدُ الفلواتُ والأمواهُ

بشرى فقدْ بُعِثَ النبيُّ محمّدٌ   نورُ الحقيقةِ قد أنارَ سناهُ

يمضي محمّدُ قافلًا[1] لخديجةٍ   والموقفُ المرهوبُ قدْ أعياهُ[2]

ويقولُ مُدُّوا لي الفراشَ ودثّروا   بل زمِّلوني هالَهُمْ مرآهُ

قالتْ خديجةُ ما دهاكَ؟ وأقبلتْ   أُمًّا رؤومًا طفلَها ترعاهُ

سردَ الحديثَ وقد تصبَّبَ معرَقًا   قالتْ لهُ هوّنْ عليكَ فما هُوْ

إلا الملاكُ أتى يبشِّرُ صادقًا   أنتَ الرسولُ وربُّنا آتاهُ

أبشِرْ وناجِي اللّهَ يُذهِبْ كُربةً   لا يخذُلَنَّ اللّهُ من ناجاهُ

ذهبتْ إلى ابنِ العمِّ نوفلَ[3] أخبرتْ   فأجازها في قولِها فعساهُ

أن يجلبَ الخيرَ العميمَ لأمّةٍ   ضلّتْ وحُبُّ الحقِّ ما أحلاهُ

حادتْ عنِ الدينِ القويمِ وغيَّبتْ   عقلًا وتركُ الحقِّ ما أشقاهُ

فعبادةُ الأوثانِ أو تأليهُها   بئسَ الضلالُ وبئسَ من والاهُ

جاءَ البشيرُ محمّدٌ فاستبشِروا   يهدي لنهجِ اللهِ منْ يهواهُ

رجعتْ خديجةُ وهيَ راضيةٌ إلى   بيتِ الحبيبِ تُزيلُ عنه عناهُ

قالتْ لهُ ودموعُها منهلّةٌ   عهدُ الإلهِ وأنتَ منْ وفّاهُ

إني مبايعةٌ وأبذلُ كلَّ ما   يُرجَى لتسجُدَ للإلهِ جباهُ

---

1 عائدا .

2 اتعبه .

3 ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، تنصر في الجاهلية وكان يكتب عن التوراة والأنجيل .

عادتْ إلى نفسِ الرسولِ سَكينَةٌ ... من بعدِ أمرٍ هزَّهُ وضناهُ
لا يدركَنْ ما كانَ من خطبٍ أتى ... في الغارِ من فزعِ الرسولِ سِواهُ
بالسرِّ يبدأُ في دعاءِ صِحابهِ ... للحقِّ للتوحيدِ يا اللَهُ
لبّى أبو بكرٍ[1] وكان مقرَّبًا ... فهو الصديقُ يطيعُ من أصفاهُ
وكذا عليٌّ[2] كانَ ممن بايعوا ... وهو ابن عمٍّ رسولنا وحِماهُ
زيدٌ[3] إلى العمِّ المحبِّ مبشِّرًا ... يأتي ليخبرهُ فيا بشراهُ
لكنهُ يدري بخبرةِ حاذقٍ ... فقريْشُ لن ترضى وقدْ تأباهُ
ويشيعُ أمرُ محمدٍ في مكةٍ ... ويقُضُّ مضجعَ سادةٍ قدْ شاهوا
وعبيدُهُمْ وجدوا الخلاصَ فبايعوا ... واستعصموا بمحمّدٍ وهُداهُ
كان النصيرَ لهم يخفِّفُ روعَهُم ... للكادحين فجُلُّهُم يغشاهُ

---

1 عبد الله بن أبي قحافة ، يلقب بالصديق لأنه كان يصدق رسول الله في كل شيء ، أول من أسلم من الرجال صحب الرسول في هجرته ، ثاني اثنين إذ هما في الغار .

2 علي بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله وزوج ابنته ، أول من أسلم من الصبيان وكان عمره حينذاك ٧ سنوات .

3 زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، مولى رسول الله .

الجهر بالدعوة

وحـيٌ أتـى مـن ربنـا لمحمّـدٍ   فلتجهـرَنَّ كـذاكَ شـاءَ اللهُ
اجهـرْ فتوحيـدُ الإلَـهِ فريـضةٌ   أصـلُ الديانـةِ والإلَـهُ قـضاهُ
أصـلُ الديانـةِ كُنْهُهـا توحيـدُهُ   ديـنُ الحقيقـةِ ربُّنـا أرسـاهُ
في خمسةِ الأركانِ وهي وطيدةٌ   منجًا لكلِّ موحِّدٍ إيّاهُ
ثمَّ الصلاةَ أقامَها ومزكّيًا   والصومَ والحجَّ الذي أدّاهُ
خرجَ الرسولُ يحوطُهُ أصحابُهُ   تكبيرُهُم يعلو وما أزكاهُ
ها قد أتى الإسلامُ يُصلحُ شأنَكُمْ   ويُزالُ عنكُمْ جهلُكُمْ وسِفاهُ
هيّا إلى الدينِ القويمِ وأسلِموا   وتسنَّمو في المجدِ خيرَ رُباهُ
لكنَّ جُلَّهُمُ أبَوْا وتمنَّعوا   والكفرُ أعماهُمْ وما أزراهُ[1]
قالوا تُسَوُّونَ العبيدَ بسادةٍ   هذا وحقِّ اللاتِ ما ننعاهُ
فعبيدُنا ملكٌ لنا كرياشِنا[2]   نشري نبيعُهُمُ كما شئناهُ
هل[3] يستوي عبدٌ وحرٌّ في الورى؟   من قالَ ذاكَ فقدْ أصيبَ حِجاهُ[4]
ما نحنُ إلا صفوةٌ في مكّةٍ   والعبدُ يتبعُ ربَّهُ مولاهُ
وأميّةٌ[5] كانَ الإمامَ لقومِهِ   والبغيُ والشيطانُ قد أغواهُ

---

1 أبغضه

2 أثاثنا

3 إستفهام قصد به النفي، والمعنى (لا).

4 عقله، أي صار مجنونا.

5 أمية بن خلف، من سادات قريش ومتسلطيها، عارض الدعوة الإسلامية بشدة واضطهد عبيده، قتله عبده بلال في غزوة بدر.

هذي سميَّةُ[1] أسلمتْ فأذاقها — مع زوجِها مُرَّ العذابِ سقاهُ

لم يكفِهِ تعذيبُهُمْ[2] وصُراخُهُمْ — بالموتِ أتبعَ ذاكَ ما أغباهُ

خسرَ الجنانَ وإنه لمعذَّبٌ — ومُسربَلٌ في النارِ ما أشقاهُ

عمّارُ جاء محمّداً يرثي لهُ — من فرطِ ما قاسى وما لاقاهُ

قال اعذُرَنّي يا نبيُّ ومادرى — أن الرسولَ دعا لهُ ورقاهُ

أحَدٌ يقولُ بلالُ[3] وهو معَذَّبٌ — وأميّةٌ بالسوْطِ قد أعياهُ

بالسوْطِ يجلدهُ ويصرخُ قائلاً — إني إلَهُك أينَ منك إلَهُ

والشمسُ تلفحُهُ تسيلُ دماؤهُ — والصخرَ فوقَ الصدرِ قد ألقاهُ

---

1 سمية بنت الخياط ، أول شهيدة في الاسلام ، وهي أم عمار بن ياسر ، قتلها أمية بن خلف بسبب إسلامها . وكذلك زوجها .

2 استخدمت ميم الجمع لأن أمية كان يعذب سمية وياسرا وابنهما عمارا

3 بلال بن رباح ، عبد حبشي لأمية بن خلف ، اشتراه أبو بكر من أمية الذي عذبه عذابا شديدا وحرره من الرق مؤذن الرسول وأحد المجاهدين وتوفي بدمشق .

هجرة بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة

حــزِنَ الرســولُ لِمــا جــرى في مكــةٍ … فقُـــرَيْشُ تمقُتُـــهُ[1] تريـــدُ أذاهُ

أصــحابُهُ قـــدْ عُـــذِّبوا أو قتِّلـــوا … أبـــدًا عـــذابَ الـــصحْبِ لا ينـــساهُ

ألقَـــوْا عليـــه سُـــباطةً[2] واسْـــتهزؤوا … للثـــأرِ حمـــزةَ قائمًـــا نلقـــاهُ

يحمـــي رســـولَ اللّـــهِ مـــن غُلَـــوائِهِمْ … بـــالحقِّ آزرهُ وشـــدَّ عُـــراهُ

يـــأتي أبـــو سُـــفيانَ يـــسألُ عمَّـــهُ … مـــاذا يريـــدُ فتـــاكُمُ يُعْطـــاهُ

إن شـــاءَ مالًـــا نُعطِـــهِ أو إن يـــشأْ … مُلكًـــا فقـــدْ واللّـــهِ ملّكنـــاهُ

فيجيـــبُ إن محمّـــدًا لا يرتجـــي … غـــيرَ الرشـــادِ وربُّنـــا ولّـــاهُ

أمـــرَ انتـــشارَ الـــدينِ في كـــل الـــدُّنا … فـــيعُمُّ بـــينَ العـــالمينَ رَفـــاهُ

لا يبتغـــي مُلْكًـــا ولـــيس بطـــامعٍ … في الحكـــمِ عنـــهُ اللّـــهُ قـــد أقـــصاهُ

ونبـــوّةٌ أولاهُ لـــيسَ بتـــاركٍ … أمـــرَ النبـــوةِ والهُـــدى مـــسعاهُ

لـــو حِيـــزَتِ[3] الـــدنيا لـــهُ مـــا غـــرَّهُ … ولـــو اسْـــتقرَّ البـــدرُ في يُـــسراهُ

لـــن يـــتركَ الحـــقَّ المـــبينَ ودعـــوةً … يُرجـــى لهـــا والـــشمسُ في يمنـــاهُ

قـــد غـــاظَ ذاكَ قُـــريْشَ فاتجهـــت إلى … حـــربٍ ومكـــرٍ يـــستعيرُ لَظـــاهُ

ومحمـــدٌ يخـــشى علـــى أصـــحابِهِ … وبهجـــرِ مكـــةَ يـــأمرنْ ضُـــعَفاهُ

ويقـــولُ لـــوذوا بالنجاشـــي[4] واطلبـــوا … منـــهُ الإجـــارةَ وانزِلـــوا بحِمـــاهُ

---

1 تبغضه بغضا شديدا .

2 القاذورات .

3 أصبحت ملكا له وفي حوزته .

4 حاكم الحبشة ومليكها اسمه أصحمة ، عامل المسلمين معاملة طيبة عند هجرتهم الى الحبشة ورفض أن يسلمهم لقريش عندما أرسلت من يؤلبه عليهم .

فالمَلْكُ عدلٌ يُطمَأَنُّ لحكمِهِ ... والظُلْمُ حقًّا ليسَ مِن مَسعاهُ

علمتْ قُريشُ بذاكَ فانتدبتْ لهُ ... عَمْرًا[1] وكان صديقَهُ ومُناهُ

ليؤلِّبَ المَلْكَ الكريمَ عليهِمُ ... فيَبوءَ بالخُذلانِ[2] ما أشقاهُ

ماذا يظنُّ رسولُكُمْ بمسيحِنا ... نِعمَ الرسولُ فقالَ يا بشراهُ

والدِّينُ ماذا يأمرُكُمُ اخبروا ... بالعدلِ والتوحيدِ ما أبهاهُ

ومحمدٌ ينبي بغيرِ تحفُّظٍ ... موسى وعيسى في الورى أخَوَاهُ

قالَ النجاشي إذ تهلَّلَ وجْههُ ... أديانُ ربكَ كلُّها أشباهُ

يا عمرو عدْ لا ترجُوَنَّ معونةً ... منِّي فربُّ الحقِّ قد أعلاهُ

أخبرْ قُريشًا أن تُطيعَ نبيَّها ... وخذوا طريقَ اللهِ ما أذكاهُ

---

1 عمرو بن العاص أسلم بعد صلح الحديبية هو وخالد بن الوليد، أحد دهاة العرب حارب مع المسلمين في فلسطين وقادة الحملة لفتح مصر وبنى بها الفسطاط مدينة خاصة بالجنود المسلمين.

2 الذل والهوان.

حصاره صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الشّعب

ويعـودُ عمـروٌ مخـبرًا عمَّـا جـرى ... وتتـوهُ مكّـةُ في الـضلالِ وتغـرَقُ
أمُّ القُـرى لم تـدرِ أنَّ محمـدًا ... نـورُ الهـدى وبـهِ العدالـةُ تُـشرِقُ
كُفّارُهـا يـأبَوْن أن يتنـازلوا ... عـن مجـدِهِمْ وعُقُـولَهُم قـدْ أغلقـوا
ظنـوا بـأن الـدِّين يهـدِمُ مـا بنَـوْا ... والمجـدَ يـسلُبُهُمْ، لـذاكَ تحلّقـوا[1]
قـد أقـسموا متـضامنينَ بـأنهمْ ... سـيحاربونَ محمّـدًا وتواثقـوا
كتبـوا صـحيفتَهُمْ وفيهـا عهـدُهُمْ ... عهـدٌ قـويٌّ ملـزمٌ متوثّـقُ
ألاَّ تبيعـوهُم فـلا عهـدٌ لهُـمْ ... بـل قـاطعوهُمْ علَّهُـمْ أن يُخنَقـوا
في الـشِّعبِ ذاقَ المسلمون مَـرارةً ... والكـافرونَ علـيهِمُ قـد ضـيَّقوا
عـزَّ الطعـامُ لـديهِمُ وشـرابُهُمْ ... قُـلٌّ[2] ونـابُ الكفـرِ نـابٌ أزرقُ
ويزيـدُ مـن عـامِ الحـصارِ مضاضةً ... فـالعمُّ مـاتَ كـذا خديجـةُ تـسبقُ
ماتـا وحزنًـا خلفـا لمحمّـدٍ ... فمحمّـدٌ في الهـمِّ دومًـا يغـرقُ
يـضْحِي محمّـدُ مُفـردًا في محنـةٍ ... فـالقومُ جـوعى والمصيبةُ تُـؤرِقُ
ومحمّـدٌ يـدعو الإلَـهَ وقلبُـهُ ... بالحـبِّ ينـبضُ بالإجابـةِ يخفِـقُ
فـاللهُ لـن ينـسى عبـادًا وحّـدوا ... والنـصرُ آتٍ لا مَحالَـةَ مُطلَـقُ
فالـشمسُ إنْ غابـتْ وذلـكَ طبعُهـا ... تبـدو فينـبلجُ الـصباحُ فتـشرقُ
ويـسوءُ قـومٌ مـا جـرى لمحمّـدٍ ... ولـصحبِهِ فالفعـلُ فعـلٌ أحمـقُ

1اجتمعوا وتعاونوا

2قليل وشحيح .

مــا تفعلــون بــأهلكُمْ يــا ويلكُــمْ
فعــلٌ خــسيسٌ بــل وجُــبنٌ أخــرقُ

هــاتوا الــصحيفةَ وانظــروا في أمــرِكُمْ
وتــأمَّلوا في فِعلِكُــمْ وتحقّقــوا

فــإذا الــصحيفةُ بالتمــامِ تهــرَّأتْ
وتأرَّضــتْ[1] واللّــهُ فيهــا مــشرقُ

لم يبــقَ منهــا غــيرُ لفــظِ جلالــةٍ
فتراجعــوا عــن عهــدهِمْ وتفرَّقــوا

ظــلَّ الرســولُ بمكــةٍ يــدعو إلى
ربِّ الــسماءِ لــهُ تُــذَلُّ الأعنُــقُ

وبنــو عــشيرتهِ يزيــدُ عِنــادُهُمْ
وتــشبَّثوا[2] بــالكفرِ ثــمَّ تفيهقــوا[3]

ورمَــوْهُ قــالوا شــاعرٌ أو ســاحرٌ
ثــمَّ الجنــونَ بــهِ كــذلك ألــصقوا

ويزيــدُ ذاكَ الحــزنُ حــين توقفــتْ
كلمــاتُ وحــيٍ فهــو أمــرٌ مقلِــقُ

يــدعو الإلــهَ بــأن يفــرِّجَ همَّــهُ
ويزيــلَ عنــه البــأسَ دمعًــا يُهــرِقُ

إنْ كــان مــن غــضبٍ علَــيَّ فــإنّني
لــك ألتجــي أنــتَ المجيــبُ المــشفِقُ

فيجيبُــهُ اللّــهُ الكــريمُ ألا ابــشرَنْ
فيَجيئُــهُ الــوحيُ العزيــزُ المُغــدِقُ

ويُعيــدَ ربُّــكَ للرســولِ ســكينةً
ويــذلِّلَ الأمــرَ الكــؤودَ[4] يُوَفِّــقُ

يمــضي محمــدُ في الرســالةِ مُنفِــذًا
أمْــرَ الــسماءِ وقلبُــهُ مــستوثِقُ

لكــنَّ أهــلَ الكفــرِ في غلَــوائِهِمْ
ظلُّــوا علــى دربِ الــضلالةِ أطبقــوا

أعيــانَهُمْ[5] وقلــوبَهُم وعقــولَهُم
نــورُ الهدايــةِ سمعَهُــمْ لا يَطــرُقُ

يــسعى محمــدُ يائــسًا ومؤرَّقًــا
لــبني ثقيــفٍ آمِــلاً يتــشوَّقُ

---

1 أكلتها الأرضة .
2 تمسكوا .
3 تشدقوا بالباطل .
4 الشبيه بالصعب .
5 جمع عين وهو جمع قلة .

فلعـلَّ دعوتَـهُ تلاقـي عنـدهُمْ ميلاً إلى الـدِّينِ الجديـدِ فيصدُقوا
لكـنهمْ كـانوا أشـدَّ جهالـةً مـن أهـلِ مكـةَ فاعتَـدْوا وتحـامقوا
ألقـتْ عليـهِ حجـارةً صـبيانُهُمْ وكبـارُهُمْ سـخِروا فبـئسَ المنطِـقُ
زيـدٌ يواسـيهِ يخفـفُ حزنَـهُ والـدمعُ في عينيهِمـا مترقـرِقُ
فـدِماؤهُ سـالتْ وأُرهِـقَ جسـمُهُ ولـسانُهُ يـدعو إلَهًـا يُـشفِقُ
يـا ربُّ لا تأخـذْهُمُ بجهالـةٍ وسـفاهةٍ فعـساهمُ أن يتّقـوا
يـسعى إليـه مرحِّبـاً ومهـرولاً والثغـرُ يبـسُمُ والقـسامةُ تـشرقُ
مـن (نينـوى) مـن قـومِ يـونُسَ طيِّبٌ أهلًـا رسـولَ اللّـهِ ثـمَّ يُحولـقُ[1]
فيقـولُ زيـدٌ كيـف سِـمتَ حقيقـةً فيقـولُ بـل وصـفٌ يـدُلُّ وينطـقُ
أهـداهُما عِنَبًـا لذيـذًا طعمُـهُ قَـبلا الهديّـةَ والهديّـةُ أليَـقُ
عـادَ الرسـولُ لمكّـةٍ لا ينـثني عـن قـصدِهِ والقـصدُ حـقٌّ أبلَـقُ[2]

---

1 يقول لا حول ولا قوة إلا بالله .

2 أبيض شديد الوضوح .

بيعة الرضوان

مـــن يثـربٍ للبيــتِ يـأتي جمعُهُــم للحــجِّ للبيــتِ العتيــقِ تــدفقَّوا
ومحمَّـــدٌ يــسعى إلــيهِمْ عارضًــا ديــنَ الــسلامِ علــيهمُ لا يَفْـــرُقُ
فـــإذا بهـــمْ قـــومٌ جميـــلٌ طـــبعهُمْ قبلــوا بمـــا قـــالَ الرســولُ وصــدَّقوا
وتعاهـــدوا أن ينـــصُروهُ بمـــالهم وســـلاحِهِم ونفوســـهِمْ أو إنْ شَـــقوا
في بيْعـــةِ الرضـــوانِ[1] كـــانَ تواثـــقٌ أن ينـــصروا دينـــاً قويمًـــا مـــا بقـــوا
أمـــرَ الرســـولُ محمَّـــدٌ أصـــحابَهُ أن هــــاجِروا وليثـــربٍ فلتــــأبَقوا[2]
علمـــتْ قـــريشٌ مـــن ثقيـــفٍ مـــا أتَـــوْا فتنمَّـــروا واستنـــسَروا[3] وتزنـــدَقوا
هـــذا أبـــو جهـــلٍ[4] وذاكَ أميَّـــةٌ وكـــذا أبـــو ســـفيانَ شـــرًّا حققـــوا
لا شـــيءَ ينقـــذُنا ويجلـــو همَّنـــا إلاّ مـــؤامرةٌ بهـــا نتمنطَـــقُ
لا بـــد مـــن قتـــلٍ لمـــن قـــد سـفَّهتْ آراؤُهُ أوثانَنـــــا وتحــــذلَقوا[5]
فلْـــنجمعَنَّ مـــن الرجـــالِ كتيبـــةً في الليـــلِ تـــأتي بيتَـــهُ وتُطـــوِّقُ
فليقتلـــوهُ فينتهـــي أصـــحابُهُ والبيـــتُ بعـــدَ القتـــلِ حتمًـــا يُحـــرَقُ
دمُـــهُ يـــوزَّعُ في القبائـــلِ كلِّهـــا والثـــأرُ مـــن كـــلِّ القبائـــلِ يُخفِـــقُ

---

1 المقصود البيعة الثانية الكبرى لأن هناك بيعة قبلها ، وكانت بالعقبة أواسط أيام التشريق حين التقى الرسول ومعه عمه العباس ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين وبايعوه على أن يمنعوه وينصروه وبايعهم هو كذلك على أن تكون ذمته ذمتهم ودمه دمهم ، وهذه البيعة هي التي شجعت الرسول على أن يطلب من أصحابه الهجرة إلى المدينة .

2 فلتذهبوا .

3 استقووا كالنسور .

4 عمر بن هشام بن مغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، يكنى بأبي الحكم ويدعى أبو جهل ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام) فأصبح عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسلما ، وهو أيضا خال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد .

5 تفلسفوا وتشدقوا .

كـــاد العُتــاةُ لـــهُ وثــمَّ تحلَّقـــوا
مثـــل الـــسوارِ ببيتِـــهِ قـــد أحـــدقوا

ومحمّــــدٌ في البيـــتِ أزمَـــعَ هجـــرةً
وعلـــيٌّ يـــصحبُهُ فتًـــى متفـــوِّقُ

خـــرجَ الرســـولُ وربُّـــهُ قـــال ارمِهـــمْ
فأنـــامَهُمْ ذاكَ الـــترابُ وأُغْرِقـــوا

في النـــومِ فـــاخترقَ الرســـولُ صـــفوفَهُم
كالـــسهمِ مـــن قـــوسِ الكِنانـــة

عنـــدَ الـــصباحِ أتـــى الكبـــارُ ليعرفـــوا
شـــأنَ الـــصغارِ وكلُّهـــمْ متـــأنِّقُ

قـــالوا فـــأينَ محمّـــدٌ فأجـــابهمْ
حِلـــفُ الـــضلالةِ إنـــهُ متـــشَرْنِقُ[1]

لم يـــتركِ البيـــتَ المُحاصَـــرَ ليلَـــهُ
قـــالوا علـــى البيـــتِ المحاصَـــرِ أطبقـــوا

فتـــدافعوا وتـــصارخوا وتفـــاجؤا
أنَّ الرســـولَ مَـــضَى وهُـــمْ قـــدْ عُوِّقـــوا

يمـــضي الرســـولُ لغـــارِ ثـــورٍ يختفـــي
وصـــديقهُ بعـــدَ التَّثَبُّـــتِ يلحـــقُ

هـــذا أبـــو بكـــرٍ وذاكَ محمّـــدٌ
في الغـــارِ يختفيـــانِ غـــارٌ ضـــيقُ

لكنّـــهُ فـــرِحٌ ففيـــهِ المـــصطفى
فـــإذا بـــهِ الغـــارُ الأنيـــقُ المـــشرقِ

وحمامـــةٌ تـــأتي وتـــبني عُـــشَّها
والعنكبـــوتُ نـــسيجها متناسِـــقُ

مـــا إن رَمَيْـــتَ وإنَّ ربَّـــكَ قـــد رمَـــى
وســـهامُ ربِّـــكَ صـــائباتٌ تُزهِـــقُ

فـــاللهُ يحمـــي حِبَّـــهُ ورســـولَهُ
ليكـــونَ دينًـــا بالهدايـــةِ يُـــشرِقُ

قرآنُـــهُ فيـــه الهدايـــةُ والتُّقـــى
والآيُ فيـــهِ جـــداولًا تُتَعَـــشَّقُ

يـــشدو بـــه التـــالونَ تـــرتيلًا شَـــدَوْا
فَيُـــصيخُ[2] سمـــعٌ والقلـــوبُ تُـــصَفِّقُ

هـــذا وأيـــمُ اللّـــهِ سِـــرُّ جلالِـــهِ
فاللّـــهُ خـــيرٌ حافِظًـــا فبـــهِ ثِقـــوا

دُسْـــتورُ إســـلامٍ بـــهِ متحقّـــقٌ
صُـــنْعُ الإلَـــهِ منـــزَّهٌ ومُـــصَدَّقُ

فـــإذا أرادتْ أمّـــةٌ أن ترتقـــي
فلتلتزمْـــهُ هـــوَ الطريـــقُ الأوثـــقُ

---

1 يحبس نفسه في بيته ، والشرنقة بيت الحشرات .

2 يصغي بعناية .

هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

ليلٌ تولّى ثمَّ كانَ نهارُ — وبمكةٍ يتلاومُ الكفارُ
كيفَ استطاعَ محمّدٌ أنْ يُفلِتَنْ — من كيدِهِمْ ويُخَيَّبُ الأشرارُ
يتساءلونَ وهمْ ذُهولٌ هل نجا — بالسحرِ أم قد زاغتِ الأبصارُ
والكفرُ يُشعِلُ في القلوبِ ضِرامَها — فتشبُّ في تلك القلوبِ النارُ
ويصيحُ قائلُهُمْ بأمرِ سُراتِهِمْ — وبمكةٍ ذاكَ النِدا سيّارُ
مائةٌ من النُوقِ السمانِ هديّةٌ — وكذاكَ سيفٌ قاطعٌ بتّارُ
هيا ابحثوا عنهُ ولا تتَريَّثوا — من يأتِ بالبشرى هُوَ المغوارُ
فمحمّدٌ أصحابُهُ قد هاجروا — وليثربٍ ساقتهمُ الأقدارُ
وإذا محمدُ قد نجى من بطشِنا — فالعارُ ثُمَّ العارُ ثمَّ العارُ
سيصيبُنا في مقتلٍ من أمرِنا — وسيُقهَرُ الأسيادُ والتجّارُ
وتضيعُ منّا سلطةٌ وسيادةٌ — وعبيدُنا الحكامُ والأخيارُ
وتضيعُ منّا ثروةٌ وتجارةٌ — وتُذِلُّنا البلدانُ والأمصارُ
الكلُ يبحثُ عن مكانِ محمّدٍ — تجتاحُهُ الآمالُ والأفكارُ
مائةٌ من النُوقِ الكرامِ جديرةٌ — فبها يزولُ الفقرُ والإعسارُ
خرجوا جميعًا يطلبونَ محمّدًا — ومحمّدٌ يُخفيهِ ذاكَ الغارُ
فتتبعوا آثارَهُ حيث اختفى — وإلى النبيِّ تقودُهُمْ آثارُ
والعنكبوتُ ببابهِ قد شرنقتْ — وحمامةٌ وهديلُها مزمارُ
قالوا بهذا الغارِ نوقنُ أنّهُ — فيقولُ قائدُهُمْ بهِ الإصرارُ

أفــلا تــرونَ العنكبــوتَ ونــسجَها ... وحمامــــةً وفِراخَهــــا تمتـــارُ[1]

قـــالوا هنـــا آثـــارُهُ تـــومي إلى ... أنَّ الطريــــدَ هنـــا إليـــهِ أشـــاروا

مـــستهزئًا مـــن قومِـــهِ ومؤكِـــدًا ... مـــن ظـــنَّ ذاكَ فإنـــه لحمـــارُ

لكِـــنْ ســـراقةُ[2] لم تَرُقـــهُ مقالـــةٌ ... والعـــزمَ يعقـــدُ فاتِـــكٌ جبـــارُ

يمـــضي إلى الغـــارِ الـــثمينِ لُعابُـــهُ ... قـــد ســـالَ فـــالنُوقُ المـــئينُ[3] جُبـــارُ

وحـــصانُه يَجـــري يوجِّـــهُ خَطْـــوَهُ ... للغـــــارِ لا وانٍ ولا خـــــوّارُ

ويـــصيحُ صـــيحةَ فـــارسٍ متوثِّـــقٍ ... إنِّـــي ربحـــتُ سينقـــضي الإفقـــارُ

لكـــنْ يفاجـــأُ والكـــريمُ حـــصانُهُ ... ســـاقاهُ في بطـــنِ الرمـــالِ تُغـــارُ

ويـــصيبُهُ شـــللٌ وضَـــعفٌ ظـــاهرٌ ... فيقـــولُ تُبـــتُ وإنَّـــني معـــذارُ

فيجيبُـــهُ صـــوتُ الـــنبيِ مُجلجـــلاً ... يـــا ربِّ أنـــتَ الواحـــدُ القهّـــارُ

اللّيـــلُ أرخَـــى في الفَـــلاةِ سُـــدُولَهُ ... وإلى الرســـولِ تُـــسَرَّبُ الأخبـــارُ

يئـــستْ قُـــريشٌ أن تنـــالَ طريـــدَها ... واللّـــهُ خيَّـــبَهُمْ فهـــمْ فجّـــارُ

ومحمـــدٌ ينـــوي ويثـــرِبُ قَـــصدُهُ ... والناقـــةُ القـــصوا لـــهُ تُختـــارُ

أســـماءُ[4] تمـــضي تحـــتَ جـــنحِ ظُلامَـــةٍ ... والليـــلُ ليـــلٌ حالـــكٌ ســـتَّارُ

تـــسعى بـــزادٍ كـــي تُـــتَمِّمَ رحلـــةً ... اللّـــهُ قـــدَّرها فحُـــقَّ قـــرارُ

وصـــلتْ إلى الغـــارِ الكـــريمِ جريئـــةً ... لم يَـــستَثِرْها حاقـــدٌ وتَبـــارُ[5]

---

1 تأكل .

2 سراقة بن مالك .

3 المائة .

4 أسماء بنت أبي بكر ، أم عبد الله بن الزبير .

5 هلاك .

الزادَ تحمِلُهُ لهمْ بيمينِها … والماءَ طابَ قد احتوتْهُ يَسارُ
هذي الصبيَّةُ حُرَّةٌ مِقْدامةٌ … وذكاؤُها متوقِّدٌ إيثارُ
وقفتْ تُعِدُّ الزادَ فوقَ مطيِّةٍ … قبلَ المسيرِ لتبدأَ الأسفارُ
لكنَّها والحبلَ قد نسيتْ أتتْ … بنطاقِها[1] والحُرُّ ليس يحارُ
شقَّتْهُ نصفينِ استحالَ نطاقُها … حبلًا فسُرَّ بفعلِها المختارُ
فدعا لها باثنينِ خيرًا منهُما … في جنّةٍ يُجْزى بها الأبرارُ
ساروا ثلاثتُهُمْ[2] يُبارِكُ ركْبَهُمْ … ربٌّ كريمٌ قادرٌ جبّارُ
والأرضُ تُطوى كالبساطِ أمامَهُمْ … والحقُّ يعلو جيشُهُ جرّارُ
يمضونَ في حفظِ الإلهِ تحوطُهُمْ … تلكَ العنايةُ والنفوسُ كِبارُ
ساروا جميعًا خاشعينَ وزادُهُمْ … أودى بهِ الترحالُ والأسفارُ
مالوا إلى بيتٍ نأى في بلقَعٍ[3] … فإذا عجوزٌ مسَّها الإضرارُ
قالوا أما في البيتِ شيءٌ نشتري؟ … لا ماءَ عندي جفَّتِ الآبارُ
أما الطعامُ فمُذْ ليالٍ لم أذُقْ … خبزًا وما شُبَّتْ ببيتي النارُ
لا شيْ عندي غيرَ شاةٍ أُنحِلَتْ[4] … والضّرعُ جفَّ كأنهُ أحجارُ
قالَ الرسولُ أتأذنينَ بحلبِها … قالتْ فما يُرجى لها إدرارُ
سمَّى الإلهَ ومسَّ ضرعًا يابسًا … لبَنًا يسيلُ وضَرعُها مِدرارُ

---

1 قماش تلفه المرأة حول خصرها .

2 الرسول وأبو بكر وعبدالله بن أُرَيْقِط .

3 قاحل. أي أرض قاحلة .

4 هزلت وصارت نحيلة.

شـــربَ الجميـــعُ وفي الوعـــاءِ بقيَّـــةٌ ومـــضى الرســـولُ وصـــحبُهُ وأغـــاروا

لربـــوعِ يثـــربَ يُكمِلـــونَ طـــريقهُمْ حيـــثُ الـــصِحابُ هنـــاكَ والأنـــصارُ

ســـبقتهُمُ البُـــشرى ويثـــربُ أقبلـــتْ والنـــاسُ فيهـــا كلـــهُمْ نُظّـــارُ

نحـــو الجنـــوبِ عيـــونُهُم ترنـــو إلى مـــنْ يـــأتِ فهـــو محمّـــدُ المختـــارُ

ويُـــرى الرســـولُ وصـــاحباه فكَبَّـــرُوا فتُزغـــردُ الأحجـــارُ والأشـــجارُ

ويخـــالطُ التـــسبيحَ إنـــشادٌ لهـــمْ وتـــرددُ الفلـــواتُ ثـــم بحـــارُ

طلعَ البدر علينا

طلـــعَ البـــدر علينـــا   مـــن ثنيّـــاتِ الـــوداعِ[1]
وجـــب الـــشكرُ علينـــا   مـــا دعـــا لله داعِ
أيهـــا المبعـــوثُ فينـــا   جئـــت بـــالأمر المطـــاعِ
جئـــتَ شـــرفتَ المدينـــة   مرحبـــا يـــا خـــير داعِ
طلَـــعَ البـــدرُ المـــنيرُ   ربُّـــهُ اللهُ القـــديرُ
يُـــذهِبُ الظُلمـــةَ عنّـــا   ولنـــا الـــدربَ يـــنيرُ
يـــا نـــبيَّ اللهِ أبـــشِرْ   نحـــنُ للحـــقِّ نـــصيرُ
نحـــنُ للـــرحمنِ جنـــدٌ   وبـــهِ يـــصفو الـــضميرُ
ســـرْ بنـــا للهِ إنّـــا   ســـوف نمـــضي ونـــسيرُ
نحـــنُ للـــدِّينِ فـــداءٌ   ولنـــا أنـــتَ البـــشيرُ
طلـــع البـــدرُ علينـــا   مـــن ثنيـــات الـــوَداعِ
وجـــب الـــشكرُ علينـــا   مـــا دعـــا للهِ داعِ
أيهـــا المبعـــوثُ فينـــا   جئـــتَ بـــالأمرِ المطـــاعِ
جئـــتَ شـــرفت المدينـــة   مرحبًـــا يـــا خـــير داعِ
طلـــعَ البـــدرُ التمـــامُ   فلـــهُ منّـــا الـــسلامُ
أنعـــمَ اللهُ علينـــا   برســـولٍ لا يُـــضامُ
مـــن يُـــرِدْهُ بـــشرورٍ   فلـــه المـــوتُ الـــزؤامُ

---

1 مكان جنوب المدينة المنورة .

سوف نفدي الدِّينَ دومًا   ونؤدّي ما يُرامُ

فاطلبَنْ ما شئتَ إنّا   في دُنَى الحقِّ قيامُ

أنت للخلقِ بشيرٌ   أنت للدنيا غَمامُ[1]

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع

وجبَ الشكرُ علينا   ما دعا للهِ داع

أيها المبعوث فينا   جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة   مرحبًا يا خيرَ داع

*****



1 رزق ورحمة .

وصلَ الرسولُ ليثربٍ للدارِ ... من بعدِ إعراضٍ من الكفارِ

كلِفٌ[1] بمكّةَ هائمٌ بجبالِها ... وشِعابِها والأهلِ والتذكارِ

ولذاكَ تلقاهُ قُبيلَ خروجِهِ ... فوقَ الصفى يبكي بدمعٍ جاري

أنتِ الأحَبُّ إليَّ خيرٌ رقعةً ... في الأرضِ قَولةَ واحدٍ قهارِ

أنا ما تركتُكِ رغبةً لكنني ... أُكرِهْتُ من ظُلمٍ ومن أشرارِ

فسلكتُ دربَ الحقِّ أبغي يثربًا ... بمشيئةِ الرحمنِ كان قراري

أسعى لها مستوثقًا ومؤيدًا ... باللهِ في جمعٍ من الأنصارِ

هي ذي تُردِّدُ تزدهي برسولِها ... نشوى وتائِهةً[2] على الأمصارِ[3]

أرضي بحمدِ اللهِ كانت ملجأً ... لمحمّدٍ مع صحبِهِ الأبرارِ

وإليَّ هاجرَ مستريحًا قلبُهُ ... أزهو وكانَ بهمْ عظيمُ فخاري

وبنى قباءً ثم مسجدَهُ الذي ... لحجيجِنا قصدٌ وللعُمّارِ

أنعمْ بها بين المدائنِ دُرَّةً ... كالجوهرِ المنضودِ كالأقمارِ

الكلُ يسعى يستضيفُ محمّدًا ... ويُلِحُّ في مسعاهُ في إصرارِ

حتى اليهودُ تسابقوا يرجون أن ... يحظَوْا بجيرَتِهِ بنعمَ الجارِ

وابنُ الأُبَيِّ[4] يلحُّ وهو منافقٌ ... يدعو ليدركَ حَظوةً ويجاري

لكِنْ رسولُ اللهِ يأبى منزلًا ... قصواؤُهُ تسعى بحكمٍ سارِ

---

1 مغرم.

2 مفتخرة .

3 الأقطار.

4 عبدا لله بن ابي ؛ يهودي ومن رؤوس النفاق في المدينة .

قـالَ اتركُوها إنها مأمورةٌ ... فالله مرسلُها لخير قرارِ

فإذا استقرَّتْ في المكانِ فإنَّهُ ... نعمَ المكانُ وذا قضاءُ الباري

وتسيرُ لا تلوي سريعًا خَطوُها ... بَرَكَتْ وتلك مشيئةُ الأقدارِ

دارُ الرسولِ هنا تُقامُ ومسجدٌ ... للعالمين مثابةَ الأخيارِ

آخى هنا ما بين أوسٍ وخزرجٍ ... فقضى على الآلامِ والأوغارِ[1]

وكذاك آخى بين من قد أسلموا ... من أهلِ مكّةَ أو من الأنصارِ

فتقاسموا ما يملكونَ بمحضِهِم[2] ... هذا وربِّي قمّةُ الإيثارِ

غيظَ اليهودُ لِما رأوْا فتكاتفوا ... عقَدُوا معاهدةً مع الكفارِ

والبعضُ أعلنَ منهمُ إسلامَهُ ... وهو المنافقُ ساعدُ الفجَّارِ

قد غاظهمْ أن الرسولَ محمّدًا ... لم يُنْتَدَبْ من بينِهِمْ فحذارِ

أن تركنُوا للمسلمين فإنهمْ ... سينازعونا في غنًى وذراري[3]

بدؤوا يُشيعونَ الفسادَ بيثربٍ ... ويجاهرونَ بليلِها ونهارِ

قد حاولوا قتلَ الرسولِ فأُحبطوا ... نجَّاهُ منهمْ عالِمُ الأسرارِ

قد حاولوا أن يقتلوهُ بصخرةٍ ... تُلقى عليهِ إذ انتحى[4] بجدارِ

يمضي محمّدُ داعيًا في طيبةٍ ... فتعيشُ طيبةُ في سَنا الأنوارِ

بل يرسلُ الرسْلَ الدعاةَ لقيصرٍ ... وكذاك كِسْرى والمقوقِسِ طارِ

---

1 الأحقاد .

2 بإرادتهم .

3 جمع ذرية ، والمقصود بها النسل .

4 استظل وركن إلى .

أن أسـلموا إنـي الرسـول محمـدٌ المنقــذُ الــثقلينِ مــن أوزارِ

إنـي رسـولُ اللهِ أرسـلني إلى دارِ الفنــاءِ محَــذِّرَنْ مــن نــارِ

لكـنهم لم يـستجيبوا للهُــدى وتمــسَّكوا بالحقــدِ حقــدٍ واري[1]

لا يعلمــونَ بــأنَّ مــصرَ وفارسًـا وكــذاك شــامٌ أوَّلُ التيّــارِ

في مكّــةٍ فعلــتْ قــريشٌ فِعلَهــا لم تــرعَ آصــرةً[2] وحــسنَ جِــوارِ

سـلبتْ كنـوزَ المـسلمين بمكّـةٍ ثــم اسـتباحتْ فهـي وحـشٌ ضـاري

فاغتــاظَ جمــعُ المــسلمين لفعلــهمْ طلبــوا الحقــوقَ أُجيــبَ باســتنكارِ

فتــآزروا كــي يــستعيدوا حقَّهُــمْ مــن غاصــبيهمْ عُــصبةِ الأشــرارِ

بلــغَ الرســولَ مقالــةٌ مــن مخــبرٍ بمــرورِ عــيرِ قــريشَ والتجــارِ

فيُجهّــزُ الجمــعَ الكفيــلَ بقهــرهِمْ لــيُخَفِفَنْ قــدْرًا مــن الأضــرارِ

لكــن أبــو ســفيانَ وهــو زعــيمهمْ يــدري يُنَحّــي العــيرَ للأغــوارِ

وبــذاكَ تنجــو عــيرُهُ فيقودُهــا لقــريْشَ في فخــرٍ وفي اســتكبارِ

لكِــنْ قــريشٌ لــيسَ يُــشفى غِلُّهــا فيهُــبُّ ســادتُها و باســتهتارِ

يبغــون تأديبًــا لمــن قــد رامهُــمْ لا يؤمنــونَ بهدنَــةٍ وحِــوارِ

فيجهّــزونَ لغــزوِ طيبــةَ عُنــوَةً لكــنَّهمْ بــاؤوا بــذُلِّ العــارِ

---

1 حقد شديد محرق .

2 قرابة

غـــزوة بـــدر

علـمَ الرســولُ بمــا تخطـّطُ مكــةٌ — فقــريشُ تبغــي أخْــذَهُ بالغــدرِ
فَــسُرَاتُها[1] قــد قــرروا وتعاهــدوا — أن يزحفــوا بــالجيشِ جــيشِ الكُفْــرِ
نحــو الرســولِ وقومِــهِ في طيبــةٍ — الجــيشُ يمّــمَ حالمًــا بالنــصرِ
ألــفٌ مــن الجنــدِ الــشدادِ يقــودُهُم — ســاداتُ مكّــةَ شــرُّهُمْ يستــشري[2]
فــيهِمْ أبــو جهــلٍ وشَــيْبَةُ عُتبَــةٌ[3] — وكــذا أُمَيَّــةُ ينــشدون بفخــرِ
إنّــا نُريــدُ محمــداً ورفاقَــهُ — ونــذيقُهُمْ بالــسيفِ طَعْــمَ المُــرِّ
لكــنْ أبــو ســفيانَ حــاول جاهــدًا — قــال ارجعــوا لا تــذهبوا للقبْــرِ
فــاللهُ نجّــى العــيرَ مــن كيــدِ العــدى — عــادتْ إلــيكمْ أبــشروا بــالخير
لكِــنْ أبــو جهــلٍ يعانــدُ قــائلا — لا بــد أن نــسعى لــسوقِ البــدرِ
وهنــاك ننحــرُ ثــمَ خمــرًا نحتــسي — نَقْــرُ القيــانِ[4] إلى طلــوعِ الفجــرِ
فتهابُنــا العربــانُ في أنحائِهــا — ويهابُنــا الأعــداءُ طــولَ الــدهرِ
ومحمــدٌ في طيبــةٍ متوثّــبٌ — مترصّــدٌ أعــداءَهُ كالــصقرِ
يــدعو الــصحابةَ مستــشيرًا مؤمنًــا — أن الإلــهَ يــذلُ أهــلَ الكفــرِ
يُــؤتَى لــهُ بــاثنينِ مــن أعدائِــهِ — فيُخبّــرانِ بمــن أتــى للــضُرِّ
ألقــتْ إلينــا مكــةٌ فلــذاتِها — ذي فرصــةٌ ســنَحَتْ وأمــرٌ مغــري

---

1 سادتها .

2 ينتشر ويستفحل

3 عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبدمناف الهاشمي القرشي ، قتل في يوم بدر . وشيبة أخو عتبة وقتل ببدر كذلك .

4 المغنيات من الجواري ومفردها قينة .

فإذا جَبُنّا سوف يطمعُ طامعٌ … فلْنقهرَنْ قومًا أتَوْا بالفُجرِ
فلْنخرُجَنَّ إليهمُ لا ترهبوا … ولْندعونَّ جهارةً ويسرِ
فالله يكرمُ من دعاه وإنني … أدعوه بالتسبيحِ ثمَّ الشكرِ
يا ربِ نصرَكَ يسِّرَنْهُ لمن أتَوْا … يحمون دينَا داعيًا للطهرِ
قالوا نطيعُكَ فامضِ للأمرِ الذي … يرضاهُ ربّك والتزمْ بالأمرِ
يمضي محمدُ خَطوُهُ متسارعٌ … قد جالَ أمرٌ نافعٌ في الفكرِ
قالَ اجعلوا بدرًا وراء ظهورِكُمْ … وتماسكوا لا يَدْنُونَ من بئرِ
حمِيَ الوطيسُ كذا يقولُ محمدًا … صبرًا فإن الحقَّ نيلَ بصبرِ
ويرى بلالُ أميَّةً فيُذيقُهُ … موتًا زؤامًا طاعنًا في النحرِ
وكذا أبو جهلٍ يموتُ وعُتبَةٌ … باءا بإثمهما وكلِّ الخُسْرِ
سبعون منهمْ جُندِلوا[1] في يومهمْ … سبعون منهمْ أصبحوا في الأسرِ
قد خيَّبَ الرحمنُ ما قد بيَّتوا … والله أخزاهُمْ بوحيٍ يُجْرِي
بدرٌ به الرحمنُ ينصرُ دينَهُ … وبإذنِهِ تَمضي الأمورُ وتَجْري
فيها ملائكةٌ تَنَزَّلُ باسمِهِ … بشرى مُسَوَّمَةً كما في الذكرِ[2]
عادتْ قرَيْشٌ وهي تلعَقُ جُرحَها … ندمًا وتخفي حُرقةً في الصدرِ
هندٌ تُوَلْوِلُ وهيَ تَندُبُ حظَّها … والخدَّ تلطُمُ من شديدِ القهرِ
فقدتْ أعزّاءً لها زوجًا أخًا … وأبًا تلظّى في شديدِ الجمْرِ
جاءتْ قريشٌ طيبةً مزهوةً … مصحوبةً بالطبلِ ثم الزمْرِ

---

1 قتلوا .

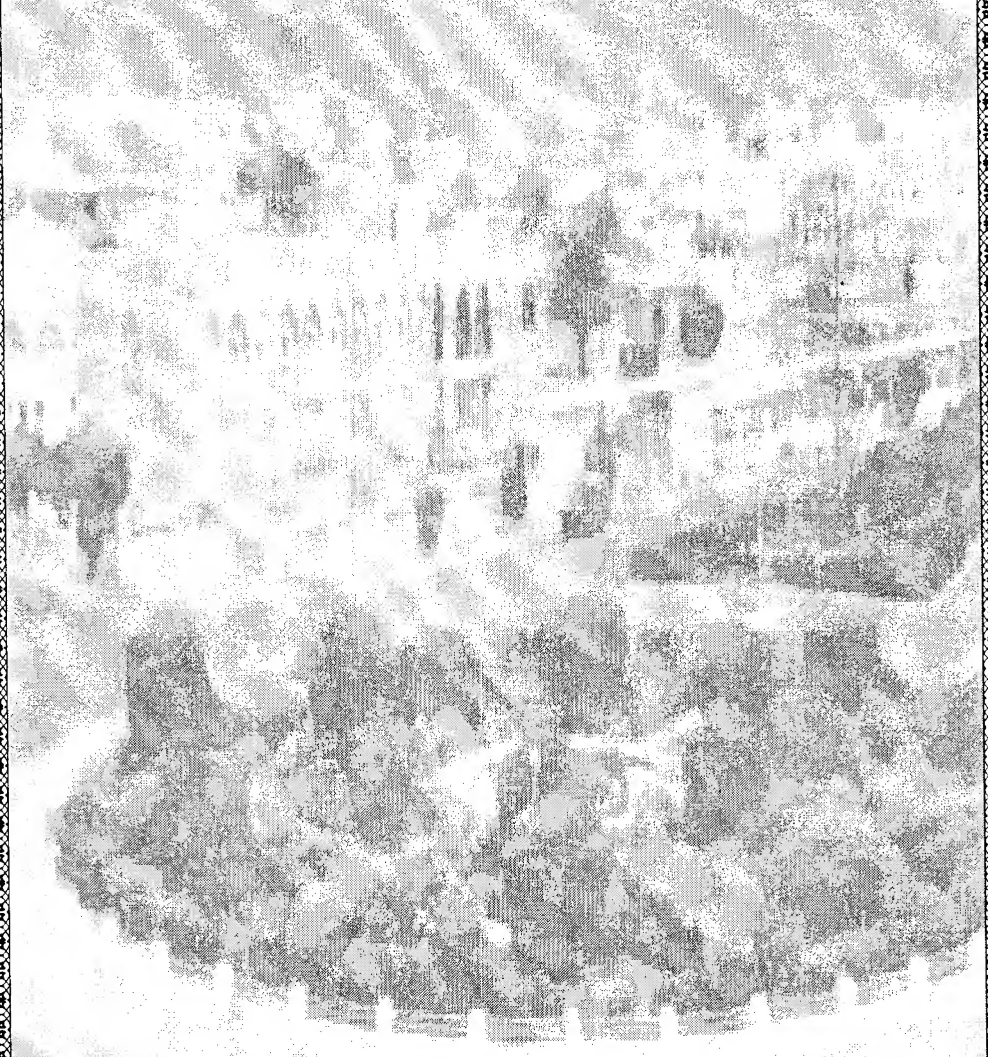
2 القرآن .

عادت قريشُ أنوفُهُمْ قدْ مُرِّغَتْ ... باءوا بسوءِ الفعلِ ثم النكرِ

والمسلمون وطيبةٌ تزهو بهمْ ... اللهُ يشفي كسرَهُمْ بالجبْرِ

يدعونَ ربَّهُمُ دعاءً صادقاً ... فيهم رسولُ اللهِ خيرُ الذخْرِ

يا ربِّ وجِّهْ للصلاحِ حياتَنا ... وقِنا العثارَ[1] وجُدْ لنا بالخيرِ



1 الزلل.

معركة أحد

عادتْ قريشُ لمكةٍ محزونةً ... كلمى تلملِمُ جرحَها وتقولُ
لا بد من ثأرٍ يعيدُ كرامةً ... يشفي الصدورَ فلن يُفيدَ عويلُ
فمحمدٌ قدْ نالَ منّا عُنوةً ... والمجدُ عن دربِ الضعيفِ يميلُ
لا بدَّ من تحقيقِ نصرٍ ظاهرٍ ... ليُصانَ مجدٌ أو يزولَ ذُهولُ
قالوا نكيدُ لهُمْ ونأخُذُ ثأرَنا ... والمكرَ نسلكهُ وذاكَ سبيلُ
لكنَّ هذا الرأيَ كُثْراً لم يرُقْ ... فمن المُحالِ بأن يكونَ قَبُولُ
لا بد من جيشٍ يرُدُّ مهابةً ... لقريشَ حتى تستريحَ عقولُ
فالثأرَ نطلُبُهُ بحدِّ سيوفِنا ... فالسيفَ نبغي ليس عنهُ بديلُ
هندٌ تُدبِّرُ قتلَ حمزةَ إنهُ ... من لفَّها بالحزنِ فهي ذليلُ
فدعتْ بوحشيٍّ[1] ليَشفيَ غِلَّها ... وتوددتْ للعبدِ وهي تقولُ
ستكونُ حراً إن قتلتَ معذِّبي ... والمالَ أُعطي إنني لفعولُ

*****

أما المدينةُ فهي تنعَمُ بالرخا ... فيها الهدايةُ تُجتَنى ورسولُ
الوحيُ يأتيه ينظّمُ شأنَهُمْ ... فالدين مجدٌ للورى مأمولُ
لكنْ يهودُ وهُمْ لئامٌ طبعُهُمْ ... لا تستقيمُ وفكرُهُمْ مشغولُ
يأبَوْنَ أنْ تحيا المدينةُ سادها ... أمنٌ وشرُّ الحاقدينَ وبيلُ[2]

---

1 عبد حبشي ، قتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب بطلب من هند بنت عتبة وقد أسلم وحسن إسلامه وقتل مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وهو القائل : (قتلت خير الناس في الجاهلية وقتلت شر الناس في الإسلام).

2 مهلك .

فسعَوْا بمكرٍ كي يُفَرِّقَ شملُها — ويسودُ فيها كعبُهم[1] وسلولُ

قد حرّفوا التوراةَ دون مخافةٍ — هم منكرون لما أتى التنزيلُ[2]

والبعضُ منهم أسلموا بل نافقوا — حمَلاً تراهُ وفي الحقيقةِ غولُ

يسعى محمدُ للسلامِ وعقلُهُ — بالمشركين مفكّرٌ مشغولُ

فيعاهدنْهُمْ أن يكونوا إخوةً — والعهدُ عهدٌ ليس عنهُ حُؤولُ[3]

لكنهم نقضوا العهودَ وحاولوا — قتلَ الرسولِ وكلهمْ مسئولُ

فبنو نضير قد تكشّفَ مكرُهُمْ — وبنو قريظةَ فعلُهُمْ مرذولُ

نزع الرسولُ سلاحَهُمْ أجلاهُمُ — كي يستتبَ الأمنُ والتأميلُ

جاءتْ قريشُ تقود جيشاً جحفلاً — آلافُهُ تسعى تُخيفُ تهولُ

فيهِمْ أبو سفيانَ قائدُ جمعِهِمْ — وهو ابنُ حربٍ للغُزاةِ دليلُ

ومحمَّدٌ يدري بأن قريشَ لن — ترضى بغير الثأرِ أو ستدولُ

ولذاك يمعِنُ فكرَهُ متدبراً — كثرٌ هُمُ والمسلمون قليلُ

لا بد من تعويضِ نقصِ عديدِهِمْ — حربٌ ضَروسٌ والعدوُّ غَلولُ

خرجوا إلى أحُدٍ فإن عدوَّهُمْ — يمضي إليهِمْ والعدوُّ عجولُ

قال الرسولُ هنا يُعسكرُ جيشُنا — والنصرُ آتٍ ليسَ عنهُ بديلُ

أُحُدٌ وراء الجيشِ يحمي ظهرَنا — ويَصُدُّ عنا مكرَهُمْ ويحولُ

---

1 كعب بن الأشرف ، والده من بني نبهان من طيء ، تهود واحتمى ببني النضير في المدينة وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق ، آذى الإسلام والرسول ، أباح الرسول دمه وقتله محمد بن مسلمة بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم .

2 القرآن .

3 رجوع وعود .

جمعَ الرماةَ وقالَ أحْداً فالزموا
لا تتركوهُ فلا يكونُ نُزولُ

لا تتركوهُ ورابطوا في موضِعٍ
إنْ زُلتُمُ عنهُ فسوف نزولُ

حمي الوطيسُ فراجِلٌ أو فارسٌ
الكلُ يبذُل جَهْدَهُ ويصولُ

واستبسل الجمعانِ كلٌ يبتغي
نصراً وحمزةُ كان نعمَ القيلُ[1]

أبلى بلاءً لا يكونُ لغيرِهِ
فهُوَ المحنّكُ في الوغى وحمولُ[2]

وحشيٌّ يكمُنُ والخداعُ سبيلُهُ
ومُنًى تراوِدُ نفسَهُ وتجولُ

من خلفِ صخرتِهِ يسدّدُ حرْبَةً
فيُصيبُ منه الظهرَ فهو قتيلُ

هندٌ تُزَغْرِدُ فَرْحةً فعدُوُها
أودى[3] وفعلُ الخادعينَ رذيلُ

وحشيُّ اشققه وهاتِ الكبْدَ لي
فلعلّهُ يُشْفَى لديّ غليلُ

لكنَّهَا لم تستسِغْ طعماً لهُ
لَفَظَتْهُ من فمِها الدماءُ تسيلُ

لم يكفِها قتلُ الفوارسِ غيلَةً
لكنَّهُ الإسفافُ[4] والتمثيلُ

حزِنَ الرسولُ لموتِهِ وفراقِهِ
أسدُ الإلَهِ شهيدُهُ وفَضيلُ

والحربُ تجري يستعيرُ أوارُها
نحو انتصارِ المسلمين تميلُ

والمشركونَ وقد تبدّدَ شملُهُمْ
لم يجِدهِمْ شِعرٌ ولا تطبيلُ

تركوا متاعَهُمُ وراءَ ظهورِهِمْ
وعلا صراخُهُمُ وزادَ عويلُ

نزلَ الرماةُ وقد أسالَ لعابَهُمْ
جنيُ الغنائمِ غرَّهُمْ فأُحيلوا

---

1 الفارس الشجاع

2 شديد الاحتمال شديد الصبر .

3 هلك .

4 الانحطاط والتردي .

قـدْ خـالفوا أمـرَ الرسـول يـسوقُهُمْ   طمـعٌ فبـئسَ الفعـلُ فهـو جهـولُ
وابـنُ الوليـد يـرى الرمـاةَ فيُـسْرِعَنْ   نحـو المكـانِ فكـانَ منـهُ وُصـولُ
جمـعٌ مـن الفرسـانِ كـان مُـصاحباً   لابـن الوليـدِ وإنّـهُ قِنـديلُ
في الجاهليـةِ كـانَ خـصماً عاتيًـا   بعـدَ الهدايـة سـيفهُ المـسلولُ
مـن خلـفِ جمـعِ المـسلمين تـسللوا   فأصـابَ جمـعَ المـسلمين ذهـولُ
وبخالـدٍ قـويَ العتـاةُ فـأقبلوا   مستبـسلين شـبابُهُمْ وكهـولُ
بالمـسلمين خـسارةٌ قـد ألحقـوا   سـبعون مـن خـير الـصحابة غيلـوا
وبـدا أبـو سـفيان بعـد هزيمـة   يُعلـي النـداءَ فقـد أتـى المـأمولُ
أحُـدٌ ببـدر والأمـور تـداوُلٌ   هـذي بتلـكَ وقولُـهُ لَهزيـلُ
لـو شـاء ربُّـكَ نـصْرَ جيشِ محمّـدٍ   لقـضى بـذاكَ وإنّـهُ لجليـلُ
يقـضي بـذاك لكـي تكـونَ مـشيئةٌ   فيُطـاعَ ربٌّ أو يُطـاعَ رسـولُ
والمـسلمون تعلّمـوا درسًـا وقـدْ   شـاءَ الإلـهُ وحكمُـه تنزيـلُ

حادثة الإفك وغزوة الخندق

حـزِنَ الرسـولُ فقومُـهُ خـذلوهُ ... وذوو النفـاقِ جهـارة نـالوهُ
قـد حـاولوا أن يوقعـوا بـين الـورى ... حتـى الرسـولَ بخِـسَّةٍ قـذفوهُ
وسـرى حـديثُ الإفـكِ بـين جمـوعِهِمْ ... كالنـارِ والتـدليسُ هـم أهلـوهُ
قـد شـكّكوا في أمـرِهِ وتـشدَّقوا ... قـالوا نـبيٌّ والـورى هزمـوهُ
لـو كـان رب العـالمين إلهَـهُ ... مـا نالَـهُ قـذفٌ ولا تـسفيهُ
وبنـو قريظـة أسـهموا وتظـاهروا ... بـشديدِ إخـلاصٍ وهـمْ خـدعوهُ
قـالوا لـهُ أنـت الحليـفُ وأقـسموا ... بـاللهِ تكـذيبًا ومـا صـدقوهُ
ومحمـدٌ يـشْتَمُّ مـنهم مكـرَهُمْ ... وفجـورَهُمْ يرضـى بمـا قـالوهُ
قـد قـال قولـةَ عـارفٍ مـستوثقٍ ... إن خنـتمُ فـالعفوَ لا ترجـوهُ
أُجلـيكُمُ مثـلَ الـذين تـآمروا ... مـن قـبلِكُمْ لا يُـرْحَمَنَّ سـفيهُ
لكـن يهـودُ تـآمرتْ بـل ألَبَّـت ... ومحمـدٌ يـدري بمـا صـنعوهُ
قـصدوا قريـشًا قـائلين بـأنَّهُمْ ... ينـوون قتـلَ محمّـدٍ يُفنـوهُ
قـد رتبـوا حِلفًـا يـضمُّ قبـائلاً ... ولَهُـمْ رئاسَـتُهُ إذا شـاءوهُ
وقعـتْ قـريشٌ في شـراكِ حبـالِهِمْ ... قـالوا نوافـقُ رأيَهُـمْ حزَمـوهُ
وتوجّـهَ الأحـزابُ وحّـد رأيَهُـمْ ... كيـدُ اليهـودِ بخِـسّةٍ كـادوهُ
يبغـون نيـلَ محمـدٍ ورفاقِـهِ ... بـئس التحـزُّبُ بـئس مـا مكـروهُ
فبنـو قريظـة مُكّنـوا بخـداعِهِم ... أن يجمعـوا للـشرِّ مـا جمعـوهُ
وبـني فـزارةَ ثـم غطفانًـا أتَـوْا ... وكـذا قريـشًا كلَّهُـمْ خـدعوهُ

ساروا جميعًا للمدينةِ سعيهُمْ ... قتلٌ وتدميرٌ فقد ألِفوهُ

ومحمد يدري بما كادو له ... فله العيون بما نوَوْا نقلوهُ

جمع الرسولُ ذوي النُّهى وتشاوراً ... في أمرِهِمْ لا بدّ أن يزنوهُ

فالجيشُ جيشٌ مرعِبٌ وعديدُهُ ... ضخمٌ وكيدُ الشركِ قد خبروهُ

سلمانُ[1] أبدى للرسولِ مشورةً ... فيقولُ قولاً كلُّهُمْ حمدوهُ

يحمي المدينةَ خندقٌ بشَمالِها ... والفُرْسُ قبلكمُ هُمُ فعلوهُ

فإذا أتى الكفارُ في جيشٍ لهمْ ... باءوا بخسرانٍ وما عبروهُ

إن حاولوا فلنرمهم بسهامِنا ... وبذاك نأمنُ كلَّ ما جمعوهُ

جمع الرسولُ رجالَهُ لمهمَّةٍ ... من قبلِ أنْ يأتوا وأن يصلوهُ

بدؤوا بحفرٍ والرسولُ إمامُهُمْ ... هو قُدوةٌ وصحابةٌ لاموهُ

لا تعملَنَّ فإننا نكفيكَهُ ... لكنَّهُ يأبى وقد عرفوهُ

هو مثلُهُمْ بين الجماعةِ كادحٌ ... هو قدوَةٌ والكّلُ قدْ تبِعوهُ

حملَ الترابَ بهمّةٍ والجوعُ قدْ ... أعيى الرسولَ فجاءَ من يدعوهُ

أن أقبلنْ إنّا ذبحنا شاتَنا ... سرًا يقولُ لهُ لكي يكفوهُ

نادى الرسولُ الصحبَ هيّا للقِرى[2] ... لبُّوا وما أنتمْ بهِ فدعوهُ

ومضى الرسولُ وجَحفلٌ من جيشِهِ ... أكلوا جميعًا والقِراءُ كما هُوْ

---

1 أبو عبد الله من أصبهان بفارس ، باعه قومه لليهود ، أسلم عند قدوم رسول الله الى المدينة ، ومنعه الرق من المشاركة في غزوتي بدر وأحد ، وأول غزوة شارك فيها الخندق ، وهو الذي أشار على الرسول بحفر الخندق عندما غزت قريش وحلفاؤها المدينة في غزوة الأحزاب .

2 طعام الضيف . والمقصود الطعام .

قد بارك اللهُ الطعامَ بلمسةٍ ... لحمًا طريًّا نعْم ما أكلوهُ

أكلوا وأهل البيتِ أُثلِجَ صدرُهُمْ ... والكلُ منهُمْ حائرٌ مشدوهُ

شاةٌ نحيلٌ قد تضاءلَ جسمُها ... تكفي ويبقى كلُّ ما طبخوهُ

أكلَ الجميعُ وزوج جابرِ[1] أُسعدتْ ... فالأكلُ زادَ فنالَهُ أهلوهُ

نِعَمُ الإلَهِ على العبادِ كثيرةٌ ... إنْ أخلصوا للهِ إنْ شكروهُ

*****

اللهُ يَهْزِمُ من يشاء وينصُرُ ... واللهُ يرزقُ من يشاءُ ويقدِرُ

والخندقُ المرجُوُّ أصبحَ واقعًا ... يحمي المدينةَ من عدوٍ يمكُرُ

لكنْ يفاجأُ حافروهُ بصخرةٍ ... عند النهايةِ صخرُها لا يُكْسَرُ

يُدعى رسولُ اللهِ يؤخَذُ رأيُهُ ... متضرِّعًا يدعو الإلَهَ يكبِّرُ

يهوِي عليها ضاريًا بيمينِهِ ... فيزولُ منها ثلثُها يتكسَّرُ

ويُرَى وميضٌ خارجٌ من بطنِها ... ومحمدٌ يدعو إليها ينظُرُ

هذي الشآمُ أرى لكم قد ذُلِّلتْ ... فادعوا إلَهَكُمُ وصلّوا واشكُرُوا

ويُعيدُ ثانيةً فيومضُ ثلثُها ... هذي المدائنُ قد أتتكُمْ فابشِرُوا

وتكونُ ثالثةٌ وومضٌ ساطع ... يمَنًا أرى واللهُ خيراً يؤثِرُ

فيشيعُ بينهُمُ سرورٌ غامرٌ ... والمسلمون لربهم قد كبَّروا

جيشُ الضلالِ أتى يهودُ تقودُهُ ... ويحقدِهِمْ وبلؤمِهِمْ قد دُثِّروا

أحزابُ شيطانٍ تجمّعَ شملُها ... كي يُطْفأَ النورُ المضيءُ الأنوَرُ

---

1 زوج جابر بن عبد الله، صحابي جليل، إشارة إلى دعوة جابر الرسول عندما أعد له قدرا صغيرا يكفيه وبعض أصحابه، ولكن الرسول يدعو المسلمين جميعا، ويضع يده في الطعام فيكفي ألفا منهم.

غُــروا بكثــرةِ جيــشهمْ وعتــادِهِمْ   فتهيئــوا للحــربِ ثــمَّ تَنَمَّــروا

عنــد المدينــةِ فوجئــوا بمحمَــدِ   وبيــاغتونَ بخَنــدقٍ لا يُقهَــرُ

لم يعرفــوا مــن قبــلِ ذلــك مُـشْبِهًا   مــا قــد رأوْهُ يَغــيظُهُمْ ويُحَيِّــرُ

عَجْــزٌ بــدا فــيهمْ وأُحــبِطَ فِعْلُهُــمْ   هــمْ يمكــرونَ ومكــرُ ربِّــكَ أكبَــرُ

ويحــاولون وُلُوجَــهُ مــن مــضْيَقٍ   فتــصدُهم أقــواسُ حــقٍ تزخَــروا

عمــرو ابــنُ وُدٍّ[1] فــارسٌ شــهدتْ لــهُ   كــلُ القبائِــلِ بأسُــهُ لا يُنكَــرُ

يــدعو الرســولَ مناديًــا متحــدّيا   هيّــا وبــارزني فــإنّي الأقــدرُ

فيجيبُــهُ الــصوتُ المبــارَكُ قــائلاً   لــستَ المكــافِئَ لــي فأنــت الأحقــرُ

مــن ذا يبــارزني فهــل مــن قــومِكُمْ   مــن فــارسٍ يهــوى الحيــاةَ فيُقبَــرُ؟

فــيردُّ مــن بــين الــصفوف عليُّهــا   إنّــي المبــارزُ همّــتي لا تُكــسَرُ

حتــى إذا خــرجَ الفتــى متحــدِيًا   وأمــام عبــد الــودِ يمــشي يخطُــرُ

قــال ابــنُ وُدٍ وهــو يُظهِــرُ رأفَــةً   أنــت ابــن ظئــري والقرابــة أُوثِــرُ

لكــنني أنــا مــن يحــبُ فــأقبلَنْ   لا تُظهــرَنْ أســفًا فأنــت المُعــذَرُ

ذبــحَ ابــنُ ودَ حِــصانَهُ مستــصغرًا   شــأنَ الفتــى ومــضى إليــه يُزمجِــرُ

ثــار الغبــارُ فلــم يكــن في وســعِهِمْ   أن يعرفــوا مَــنْ مِنْهمــا المستنــصرُ

فــإذا علــيٌّ والنــداءُ مكــبرٌ   وإذا ابــنُ ودٍ ميِّــتٌ ومغبَّــرُ

يــأتي علــيٌّ للرســولِ يــضمُّهُ   نعــمَ الــيمينُ ونعــمَ ســيفًا يَقطُــرُ

يــأتي نعــيمٌ[2] خِلــسةً لمحمــدٍ   وهــو ابــنُ مــسعودٍ ذكــيٌّ نيِّــرُ

---

1 عمرو بن ود العامري ، المعروف بفارس الجزيرة أو فارس العرب ، قتله علي بن طالب في غزوة الخندق .

2 نعيم بن مسعود ، من غطفان

نطــقَ الــشهادةَ معلِنًــا إســلامَهُ ... ومحمّـــدٌ فـــرحٌ بـــهِ مستبـــشِرُ
ويُحيطُــهُ علمــاً بــأن قريظــةً ... تنــوي الخيانــةَ والكراهــةَ تُــضْمِرُ
قــد أبرمــوا حلفًــا وعهــدًا صــارمًا ... لمعونــةِ الأحــزابِ حتــى يُنــصَروا
ينــوون فــتحَ ديــارِهِمْ لعــدوِّكُمْ ... منهــا إلى قلــبِ المدينــةِ يُعْبَــرُ
غــضِبَ الرســولُ لــذاكَ إذْ قــد أقــسموا ... ألا يخونــوا العهــدَ أو أن يَنــصُروا
أعــداءهُ لكــنّهُمْ نكثــوا بمــا ... وعــدوا وخــانوا نقــضُهمْ لا يُجبَــرُ
ومحمــدٌ يــدعو نعيمًــا عالمًــا ... فيــهِ الــذكاءَ وأمــرُهُ يتــدبَّرُ
يمــضي نعــيمُ لحاجــةٍ في نفــسِهِ ... لقريظــةٍ فلعــلَّ مكــرًا يُثمِــرُ
إنــي أتيــتُكُمُ نــصوحًا مخلِــصًا ... فزنــوا أمــورَكُمُ جليًّــا واحــذروا
فقــريشُ والأحــزابُ قــومُ محمــدٍ ... مــالوا لــصلحٍ عــنكمُ قــد أدبــروا
إن كــان صــلحٌ بيــنهُمْ فمحمــدٌ ... ســيذلُّكُمْ وديــارَكُمْ ســيُدَمِّرُ
فــإذا أتــوكُمْ طــالبين معونــةً ... مــالاً رجــالاً فــاطلبوا كــي تَنْــصُروا
يمــضي نعــيمُ إلى قــريشَ ورهطهــا ... هــذي يهــودُ عهــودَكُمْ قــد أنكــروا
ومحمــدٌ خــيرُ الرجــالِ وقومُــهُ ... لا ينقــضون العهــدَ إن لم يُغــدَروا
فــإذا ذهبــتُمْ لالتمــاس معونــةٍ ... فــسيطلبونَ مطالبًــا تُــستَنْكَرُ
مــا غــرَّهُمْ عهــدٌ يوحِّــدُ بيــنكمْ ... بــل مــالكم ورجــالكم فاســتعيرُوا
لقريظــةٍ ذهبــوا ليــدخلَ جيــشُهم ... لكِــنْ قريظــةُ بالمطالــبِ تجهَــرُ
المــالُ والأهلــون رهــنٌ عنــدنا ... أو فــارجعوا مــن حيــثُ جئــتم واعْــذُروا
لامــتْ قــريشُ ورهطُهــا بــل هــددوا ... وبنــو قريظــةَ ردَّ فعــلٍ أظهــروا

فـانفضَّ حلـفُ الكفـرِ ثـمَّ تفرّقَـتْ … أهـواؤُهُمْ مثـلَ الهـشيمِ[1] تُبَعثَـروا

فنعـيمُ شـقَّ صـفوفَهمْ بذكائِـهِ … والحـربُ مكـرٌ والـشجاعةُ جـوهرُ

في ليلـةِ ظلمـاءَ داجٍ ليلُهـا … رفـعَ الرسـولُ يديـه يـدعو يجـأر

يـارب إن المـسلمين تُقُـصِّدُوا … يـا ربِ إن المـسلمين تـضرروا

فـارفعْ إلَهـي عـنهُمُ بمـشيئةٍ … مـا قـد علمـتَ فإنـكَ المُتَجَبِّـرُ

فيجيـبُ ربُّ العـالمين نـداءَهُ … خـيرُ الأنـامِ دعـا وربٌّ أقـدرُ

يُجـري علـى الكفـارِ مـن آياتـهِ … فتثـورُ ريـحٌ في العـراءِ تزمجِـرُ

قلبَـتْ قـدورَهُمُ وكـلَ خيـامِهمْ … أودى فكـلُّ متـاعِهمْ متبعثِـرُ

ويزيـدُ طينًـا بلّـةً أن الـسما … فُتِحـتْ كـشلاّلٍ فراحـت تمطِـرُ

فتفـرّقَ الأحـزابُ لا بـل شُـتِّتوا … والكـلُ مـنهُمْ خـائفٌ ومُـذَعَّرُ

رحلـوا قلـوبهُمُ تَقَطَّـعُ حـسرةً … بـاءوا بخُـسرانٍ وذُلٌّ يَغمُـرُ

واللهُ نجّـى دينـه ونبيَّـهُ … مـن بغـيِ كفـارٍ بغَـوْا وتجـبروا

ونجَـتْ مـدينتُهُمْ وصـارتْ مـوئلا … للـدينِ فالإسـلامُ فيهـا يُـشهَرَ

عـادَ الرسـولُ لبيتِـهِ مـتهلّلاً … مـن بعـد لأيٍ في الحـصار يفكّـرُ

فبنـو قريظـةَ شـوكةٌ في حلقِـهِ … يرجـو قتـالَهُمُ ووحيًـا يـأمُرُ

يأتيـهِ جبريـلٌ ينـادي قـائلاً … والمـاءُ مـن أطرافـهِ يتقطّـرُ

مـن فـوقِ بغلتِـهِ يُبلِّـغُ وحيَـهُ … لـبني قُريظَـةَ يـا محمّـدُ فـانفِروا

لـبسَ الرسـولُ سـلاحَهُ مـتعجّلاً … فـاللهُ يـأذنُ بالقتـالِ ويـسطرُ

---

1 العشب الجاف .

يمضي الرسولُ مؤدِّبًا أعداءَهُ … لبني قريظة مسرعًا لا يفتُرُ

العصرَ صلوها بأرضِ قُرَيظةٍ … فقد استباحوا ظهرنا وتآمروا

لا تأخذنْكُمْ رحمةٌ برجالهمْ … ونساءَهُمْ أطفالَهُمْ فلْتَأسروا

فالغدرُ من شيمِ اللئامِ وإنهم … خانوا العهودَ وصمموا أن يغدُروا

لكنْ يهودُ تحصّنوا بحصونِهِمْ … وتمسكوا بعنادِهِمْ واستنفروا

رفضوا النزولَ على شروطِ محمّدٍ … وهمُ الخيانةَ والدسائسَ أضمَروا

وضعوا الشروطَ لحفظِ ماءِ وجوهِهِمْ … لكنْ عليٌّ يقولُ لا تستأمروا

إني لها ومَصيرَ حمزةَ أبتغي … هذي الصياصي[1] بالدماءِ سنعبُرُ

تخشى قُرَيْظَةُ أن تُدكَّ حصونُهُمْ … قالوا فسعد معاذُ[2] فينا يأمرُ

ويجيءُ سعدٌ نازفًا من جرحهِ … قد غاظَهُ فعلُ اليهودِ المُنْكَرُ

فليُقْتَلوا فالقتلُ حكمٌ صائبٌ … وطبيعةُ الأوغادِ لا تتغيَّرُ

قالَ الرسولُ حكمتَ بالحكمِ الذي … من فوقِ سبعٍ[3] شاءَهُ المتكبِّرُ

حفظَ الإلهُ مدينةً ونبيَّنا … والمسلمينَ فنعمَ ربٌّ يسترُ

بجنودِهِ وملائكٍ نُصِرَ الهدى … واللهُ يهزِمُ من يشاءُ وينصرُ

---

1 الحصون .

2 سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس من بني الأشهل ، كنيته أبو عمرو ، وأمه كبشة بنت رافع . والبيت إشارة إلى قبول يهود بني قريظة بالنزول على حكمه بعد غزوة الخندق عندما خانوا العهود ، فحكم عليهم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وتقسيم أموالهم ، وأيده الرسول ﷺ في حكمه .

3 من فوق سبع سماوات .

صلح الحديبية

نــــصرُ الإلـــهِ مـــؤزّرٌ وأكيـــدُ   والله يُنـــشئُ خلقَـــهُ ويعيـــدُ
ومدينـــةُ الـــرحمن صـــارتْ مـــوئلاً[1]   للحـــقِ مألوفًـــا بهـــا التوحيـــدُ
والـــدينُ يقـــوى والرســـالةُ تنتـــشي   والكـــافرون تقهقَـــروا ويهـــودُ
عـــمَ الهـــدوءُ بُعَيـــدَ نـــصرِ محمـــدٍ   وأتتـــهُ تـــسعى أنفـــسٌ ووفـــودُ
كـــيْ يُعلنـــوا إســـلامَهُمْ وولاءَهُـــمْ   فيُقـــامَ حِلْـــفٌ أو تكـــونَ عهـــودُ
فمحمـــدٌ يرســـي دعـــائمَ دولـــةٍ   وعْـــدُ الإلَـــهِ وإنـــهُ لأكيـــدُ
ومفـــاخرًا بالـــدينِ يبغـــي مكّـــةً   لا يبتغـــي حربـــاً ولـــيس يريـــدُ
يـــسعى لبيـــتِ الله معتمِـــرًا وقـــدْ   لبّـــاهُ آلافٌ فلـــيس يحيـــدُ
ســـاروا جميعًـــا نحـــوَ مكّـــةَ عُـــزّلاً   غـــيرَ الـــسيوفِ سـلاحهُمْ محـــدودُ
لكـــن قـــريشٌ تُـــستثار نفوسُـــهُمْ   راحـــت تُلَمْلِـــمُ حقـــدَها وتكيـــدُ
فتواثقـــوا وتعاهـــدوا أن يمنعـــوا   مـــسعى الرســـولِ فقلـــبُهُمْ جُلمـــودُ
ويثـــورُ خالـــدُ ثـــم بجمـــعُ نخبـــةً   في جحفـــلٍ يمـــضي بهـــمْ ويقـــودُ
يـــسعى لمنـــعِ محمـــدٍ ورجالـــه   وهـــوَ الـــشجاعُ وبطـــشُهُ معهـــودُ
لكِـــنْ رســـولُ الله غيَّـــرَ دربـــهُ   فـــأتى حُديبيـــةً[2] فـــضَجّ عديـــدُ
جئنـــا لمكّـــةَ كيـــف ننـــزلُ هاهنـــا   والبيـــتَ نبغيـــهِ هـــو المقـــصودُ
الناقـــةُ القـــصواءُ تخـــشأُ[3] ههنـــا   فـــاللهُ ألهمهـــا وتلـــكَ حـــدودُ

---

1 حصن يلجأ إليه .

2 على بعد اثنين وعشرين كيلا غرب مكة .

3 تبركُ بأمر من الله .

لم يـــأت وقـــتُ دخـــول مكـــةَ إنّـــهُ وعـــــدٌ وإن دخولَهـــــا موعـــــودُ

المـــسلمون رضُـــوا بحكـــمِ رســـولِهِمْ عـــلَّ الإلَـــهَ بإذنِـــهِ ســـيجودُ

نزلـــوا حديبيَـــةً وعُـــسْرٌ نـــالَهُمْ فـــالبئرشـــحٌّ ومـــاءُهُ محـــدودُ

يقـــفُ الرســـولُ ببابـــهِ متوضّـــئًا والمـــاءَ يَـــسْكُبُ منهمـــا فتجـــودُ

فاضـــتْ بمـــاءٍ أُترِعَـــتْ فكفـــتْ بـــه جَمْـــعَ الـــنبيِ وإبْلَهُـــمْ وتزيـــدُ

يـــأتي بـــديلٌ[1] ثـــمَ يتبـــعُ عـــروةٌ[2] ليُفاوضـــا لكـــنْ تـــضيعُ جهـــودُ

عثمـــانُ[3] يمـــضي نحـــو مكـــةَ مبلغًـــا أن الرســـــولَ مـــــسالمٌ وودودُ

لا يبتغـــي حربًـــا ولا إيـــذاءَهُمْ عُـــزلاً أتَـــوْا وســـلاحُهُمْ مغمـــودُ

لكـــنْ قـــريشٌ تـــستَبدُّ برأيهـــا فالكـــلُّ مـــنهمْ صـــارمٌ وعنيـــدُ

لـــن يـــدخلوها فالـــسيوف حكومـــةٌ إمّـــا تُبـــادوا أوْ فـــنحنُ نَبيـــدُ

عثمـــانَ قـــد حبـــسوا تـــأخّرَ عـــودُهُ خـــشيَ الـــنبيُ عليـــهِ فهـــو عَميـــدُ

قـــالوا لـــهُ طُـــفْ إنْ أردْتَ وصـــلّينْ فـــأبى الطـــوافَ وإنَـــهُ لوحيـــدُ

لم يـــرضَ فعـــلاً صـــالحًا في غيبَـــةٍ للمـــسلمين فقلبـــهُ مفئـــودُ

تركـــوهُ يمـــضي لم ينلْـــهُ أذاهُـــمُ ســـهلٌ[4] يجـــيءُ وإنـــهُ لرشـــيدُ

لّمـــا رآهُ محمّـــدٌ قـــالَ ابـــشِروا فقـــريشُ تبغـــي الـــصلحَ وهـــو ســـديدُ

---

1 بديل بن ورقاء

2 عروة بن مسعود وهما رسولا قريش إلى النبي في الحديبية .

3 عثمان بن عفان بن أمية ، ثالث الخلفاء الراشدين ، يلقب بذي النورين لزواجه من ابنتي الرسول أم كلثوم ورقية ، بذل المال الوفير في الإسلام وجهز غزوة العسرة ، قتله ثوار من مصر بالمدينة المنورة وهو يقرأ القرآن .

4 سهيل بن عمرو ، واحد من رسل قريش إلى الرسول في صلح الحديبية ، وقد تفاءل الرسول به عندما أرسله المشركون ليفاوض رسول الله .

وتعاهد الطرفان فيما بينهمْ سهلُ ابن عمرةَ كيّسٌ ومُجيدُ
لا تدخُلُنَّ البيتَ في ذا العامِ بلْ إن شئتم حجًا لِقادمَ عودوا
وحليفكُمْ إنْ جاءنا فنضمُّهُ وحليفُنا إن جاءكمْ فتُعيدوا
والعهدُ عشرًا بيننا فنصونُهُ والعيشُ عيشٌ طيّبٌ ورغيدُ
عمرٌ يُغاظُ ومثلُهُ قد أُحبِطوا يدعو أبا بكرٍ وفيهِ صُدودُ
فيقولُ في غضبٍ أليس محمّدٌ نِعمَ الرسولُ وربُّهُ المعبودُ
فلِمَ التهاوُنُ في حقوقٍ تُزدرَى والأرضُ من ظلمٍ تكادُ تَميدُ[1]
يُصغِي أبو بكرٍ إليهِ مُشفِقًا لكنَّهُ الإخلاصُ والتأييدُ
فمحمّدٌ يمضي بأمرِ إلهِهِ والخيرُ من ربِّ السما مرفودُ
ألديكَ شكٌّ في قرارِ نبينا أم أنتَ تنقُدُهُ فذاكَ جحودُ
عمرٌ يعودُ لرشدِهِ مستغفرًا إيمانُهُ متوَثّقٌ ووطيدُ
يدعو الرسولُ رجالَهُ لتحلّلٍ فتكونُ منهمْ جفوةٌ وصدودُ
يأوي الرسولُ لأمِّ سلْمةَ مُغْضبًا وهو الحليمُ وإنهمْ لشُهودُ
قالتْ له اخرُجْ ولْتحلّقْ وانحرَنْ فإذا الجميعُ ويومُهُمْ مشهودُ
نحروا وعادوا للصوابِ وبُدّلوا بالشرِّ خيرًا فالعبادُ عبيدُ
يُمضي الإلَهُ مشيئةً فبإذنِهِ تمضي الأمورُ فيكثُرُ التحميدُ
فاللهُ ألهمَ مُصطفاهُ بأمرِهِ يمضي وتمضي أمةٌ فتسودُ

---

1 تتحرك بقوة .

فتح مكة

نـورُ الحقيقـةِ في المدينـةِ يـسطعُ — والله يَخفِـضُ مـن يـشاءُ ويرفـعُ

بعـد الحديبيـةِ اطمـأنَّ محمـدٌ — ولـه الوفـودُ كـذا القبائـلُ تُجمَـعُ

والمـسلمون وإنْ تـذمَّرَ بعـضُهُم — عَرَفـوا الحقيقـةَ فالرسـولُ المَهْيَـعُ[1]

كُثْـرٌ مـنَ النـاس اسـتقرَّ قـرارُهُمْ — فـأتوْا رسـولَ اللهِ ثـمَّ تـضرعوا

طلبـوا الجـواز وفي المدينـةِ إذ هـمُ — قـد أسـلموا للهِ كفـراً ودَّعُـوا

لكنَّـهُ يـأبى فـإنَّ عهـودَهُ — حَـقٌّ عليـهِ وإنَّـهُ لا يرجـعُ

فـالله قـال بعهـدكُمْ أوفـوا فمـنْ — نقَـضَ العهـودَ فمـارقٌ[2] ومُـضيِّعُ

لكـنْ قـريشٌ لـن تبَـرَّ بوعـدِها — فالعهـدَ تـنقُضُ والحقـوقَ تُـضيِّعُ

حلفـاؤُهُمْ وهـمُ بنـو بكـرٍ أتـت — فِعْـلَ القبـيحِ فـشرُّهُم لا يُـدفَعُ

نـالوا خزاعـةَ[3] وهـيَ حلـفُ محمـدٍ — عنـدَ الـوتيرِ[4] فقُتِّلـوا أو فُزِّعُـوا

وكـذاكَ في البيـتِ الحـرامِ تكـاثروا — قتلـوا الرجـالَ وهـم سـجودٌ رُكَّـعُ

عمـرو الخزاعـيُّ[5] استـشاطَ ومُغْـضَبًا — يـأتي المدينـةَ قلبُـهُ متوجِّـعُ

فبنـو خزاعـةَ تُـستَحَلُّ نفوسُـهُمْ — وديـارُهُم فجمـيعُهُمْ قـدْ فُجِّعـوا

مُتَوَجِّعًـا يـشكو لعـلَّ محمـداً — يـشفي الـصدورَ صـدورَ مـن قـدْ رُوِّعـوا

---

1 الطريق والمنهج .

2 مستهتر .

3 تعد خزاعة قبيلة عريقة وهي من أمهات القبائل في الجزيرة العربية وهي قبيلة أزدية قحطانية .

4 ماء لخزاعة

5 عمرو بن سالم الخزاعي ، قدم إلى الرسول وهو بالمدينة واستصرخه طالبا الثأر من بني بكر حلفاء قريش بعد أن نالوا منهم حتى بعد لجوئهم إلى الحرم وإلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ومولى لهم يدعى رافعا ، فأجابه الرسول الى طلبه وكان ذلك إيذانا بفتح مكة .

فيقـــولُ قـــولا لا يـــزالُ مجلجـــلاً فيُـصيبُ قلـبَ محمــدٍ بـل يوجـعُ
ملــكَ الخزاعــيُ الفـصاحةَ والحِجـا ملــكَ القلــوبَ بقولِــهِ فلتــسمعوا

*****

يـــاربِ إنـــي ناشـــدٌ محمــــدا
حلـــفُ أبينــــا وأبيــــه الأتلـــدا
قـــد كنـــتم ولـــدا وكنـــا والـــدا
ثمـــت أســلمنا فلـــم ننـــزع يـــدا
فانـــصر نـــصرك الله نـــصرا ابـــدا
وادع عبـــاد الله يـــأتو مـــددا
فـــيهم رســـول الله قـــد تجـــردا
أبـــيضُ مثـــل البـــدر يـــسمو صـــعدا
إن ســـيم خـــسفاً وجهـــه تربـــدا
في فيلـــقٍ كـــالبحرِ يجـــري مزبـــدا
إنَ قريـــشاً اخلفـــوك الموعـــدا
ونقـــضو ميثاقـــك المؤكـــدا
وجعلـــوا لـــي في كـــداء رصـــدا
وزعمـــوا ان لـــست تـــدعو احـــدا
وهـــم أذل وأقـــل عـــددا
هـــم بيّتونـــا بـــالوتير هجـــدا
وقتّلونـــا ركعـــا وســـجدا

*****

قالَ الرسولُ ووجهُهُ متهلّلٌ ... أبشِرْ نُصِرْتَ فقد جنى من يزرعُ

فقريشُ قد زرعتْ بسوءِ صنيعِها ... نُكْثًا وحربًا فلْتذُقْ ما تزرعُ

بلّغ خزاعةَ أن حلفَ محمدٍ ... ليسَ الضعيفَ وسيفُ ربِّكَ أقطعُ

ظهرتْ علاماتُ الرضى فمحمدٌ ... يُدعى لمكّةَ فاتحًا لا يفزَعُ

فقريشُ قد نكثتْ فحُقَّ عقابُها ... ومحمدٌ لا يستكينُ ويُخدَعُ

لم ينسَ مكّةَ فهي دومًا حُلمُهُ ... والوحيُ كانَ بها وبيتٌ يُرفَعُ

سارَ النبيُّ يحفُّهُ أصحابُهُ ... في جحفلٍ لجِبٍ[1] لمكّةَ يُسرِعُ

أخفى عن الأصحابِ كُنْهَ مرادِهِ ... ليفاجئَ الكفارَ ثمَّ يُروَّعوا

في عشرةِ الآلافِ يمضي مسرعًا ... وبمُرِّ ظهرانٍ[2] يكونُ تجمُّعُ

النارَ أوقدها ليُرْهِبَ خصمَهُ ... ويبُثَّ فيهمْ رعبهمْ فيُفزَّعوا

يأتي أبو سُفيانَ في غُلَوائهِ ... فيهولُهُ ما قدْ رأى ويُفزَّعُ

يلقى محمدًا القويَّ بربِّهِ ... وبدينِهِ وبجيشِهِ فيُفجَّعُ

قالَ النبيُّ لهُ بغيرِ فظاظةٍ ... آمِنْ وقومَكَ عن ضلالِكُمُ ارجِعوا

إنا سندخلُ مكةً في غُدوةٍ ... بلِّغْهُمُ ما قدْ رأيتَ فيخضعوا

يُصغِي أبو سُفيانَ وهو مذَبذَبٌ ... بينَ الحقيقةِ والضلالِ فيَخشعُ

هذا ابنُ حربٍ معلنًا إسلامَهُ ... والصوتَ في أنحاءِ مكةَ يرفَعُ

هذا محمدُ قدْ أتاكم هاديًا ... فاصغُوا لدعوتِهِ جميعًا تُمنَعوا

---

1 الجيش العظيم .

2 مكان بالقرب من مكة نزل فيه الرسول وجيشه عند توجههم الى مكة . .

مَـن يـدخلِ البيـتَ الحـرامَ فـآمنٌ ... ومــن اسـتظلّ ببيتِــهِ فمـشَفَّعُ

فلْتـدخلوا داري فـذلكَ حيـز لـي ... بـيتي أمـانٌ والهدايـةَ فـاتبعوا

يوصـي الرسـولُ رجالَـهُ بـصرامةٍ ... لا تعتـدوا مَـن يبـغِ شـرّا فـاردعوا

دخـلَ الرسـولُ فمكّـةٌ فُتحَـتْ لـهُ ... للبيـتِ يمـضي والـضلالُ يُقَـشَّعُ

يـسعى بـشوقٍ قلبُـهُ في لوعـةٍ ... والعـينُ مـن فـرطِ الـسعادةِ تَـدمَعُ

سـارَ الرسـول ملبيًـا في قومـهِ ... والجُـلُّ مـن جنَبـاتِ مكـةَ يُهـرَعُ

دَخَـلَ الرسـولُ البيـتَ يـدعو شـاكرًا ... فـاللهُ أظهـرهُ وجـلَّ المُخـضِعُ

بـالقوسِ في يمنـاهُ يطعَـنُ قـائلاً ... أوثـانَهمْ فتَخِـرُ فـوراً تُـصرَعُ

الحـقُ جـاءَ وباطـلٌ قـد أُزْهِقَـتْ ... أركانُـهُ والحـقُ أبلَـجُ أنـصَعُ

ويطـوفُ حـولَ البيـتِ وهـو مكبِّـرٌ ... ويـشيرُ للأوثـانِ فهـيَ تُجـدَّعُ[1]

والكعبـةُ الغـراءُ أشـرقَ وجهُهـا ... مـن بعـدِ شِـرْكٍ كـان فيهـا يرتَـعُ

يـدعو بعثمـانَ بـنِ طلحَـةَ[2] آخـذًا ... مفتاحَهـا للـبطن يـدخلُ ينـزِعُ

صـوراً علـى الجـدرانِ كانـت ثُبِّتـتْ ... فيُزيلُهـا يُلقـي بهـا فتُقَطَّـعُ

الآنَ صـارَ البيـتُ بيتـاً طـاهراً ... مـن رجـسِ أوثـانٍ بمكـةَ يَقْبَـعُ

ادعـوا بـلالاً فليـؤذِّنْ إنّـهُ ... غـيرُ الأذانِ ببيتِـهِ لا يُرفَـعُ

هـذا بـلالٌ يعتلـي بيـتَ الهُـدى ... اللهُ أكبَـرُ غيرُهـا لا يُـسمَعُ

صلـى الرسـولُ وصـحبُهُ في البيـتِ إذْ ... رُفِـعَ الأذانُ فـسُجَّدٌ أو رُكَّـعُ

---

1 تتساقط وتتهشم .

2 عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبدالعزى بن عبدالدار العبدري ، قتل أبوه كافرا في أحد ، وكان معه مفاتيح الكعبة حين دخل الرسول فاتحا .

وقــــف الرســـولُ مخاطبًـــا مــــن ... مــا الفعــلُ فــيكُمْ أمْ تُــرى مــا أصــنعُ؟

قــالوا الكــريمُ ابــنُ الكــريمِ فمــا نــرى ... إلا الهدايـــةَ مـــنْ خَلاقِـــكَ تنبُـــعُ

قـــالَ اذهبـــوا طلقـــاءُ أنـــتمْ واسـألوا ... عفـــوا مـــن اللهِ الغفـــورِ فتُلقَعـــوا[1]

فلمَكّـــةٌ خـــيرُ البقـــاعِ فأرضـــها ... تـــبرٌ ومـــسكٌ في الـــدنا يتـــضوَّعُ

---

1 تحسدوا.

غزوة حنين

ذي مكةٌ أرْضُ السلامِ طهورُ   ومحمدٌ فيها النبيُّ النورُ
فُتِحَتْ لهُ باسمِ الإلَهِ فجاءها   صبًّا يطهرُ بيتَها ويُنيرُ
قد حطّمَ الأصنامَ فيها عُنْوةً   من بعدِ رِجْسٍ عمَّها التّكبيرُ
خَلَصَتْ لربِّ العالمينَ فدينُهُ   فيها يُقامُ وإنّها لأثيرُ
عشرين يومًا غيرَ يومٍ قد قضى   فيها محمدُ قلبُهُ معمورُ
لكِنْ هَوازِنُ معْ ثَقيفٍ[1] قرّرَتْ   غزوًا فشأنُ المسلمينَ خطيرُ
بَلَغَ النبيَّ الأمرُ أعملَ فكرَهُ   ثُمَّ استَخارَ فجاءهُ التنويرُ
أُخرُجْ إليهمْ فالإلَهُ مُوَفِّقٌ   فاللهُ للإسلامِ نِعمَ نصيرُ
وهوازنٌ وثقيفُ لُمَّتْ شملَها   جمعًا لحربِ المسلمينَ تسيرُ
وزعيمُها وهو ابنُ عوفٍ[2] فارسٌ   وكذا دُرَيْدُ[3] محنّكٌ ومشيرُ
ويرى ابنُ عوفٍ أنْ يسيرَ لحربِهِ   بالمالِ والأهلينَ وهو غَرورُ
ودُرَيْدُ سفّهَ رأيَهُ لكِنَّهُ   يأبى يعاندُ إنهُ لمَكورُ
قد شاءَ تشجيعَ الرجالِ بفعلِهِ   فهُوَ الحكيمُ ورأيُهُ المأثورُ
أموالُهُمْ أطفالُهُمْ ونساؤُهُمْ   إن قصَّروا في الحربِ سوفَ تَبورُ
نزلَ الجميعُ على أوامرِهِ وقدْ   هِيبَ الجميعُ صغيرُهُمْ وكبيرُ
ويُسيرُ مالكُ خطّةً مرسومةً   قد زانَها الإحكامُ والتدبيرُ

---

1 قبيلتان عربيتان مشهورتان استوطنتا مدينة الطائف وما حولها .

2 مالك بن عوف ، زعيم هوازن وقائد جيشها يوم حنين .

3 دريد بن الصمة ، معاوية بن بكر بن علقمة الجشمي البكري ، فارس شجاع وشاعر .

قالَ اكمُنوا في الليلِ عندَ حُنَينَ إذْ ... جَنَّ الظلامُ فإنهُ لستورُ

وتَسنَّموا متْنَ[1] الشِّعابِ فإنْ أتَوْا ... فَلْتَحْمِكُمْ أشجارُها وصخورُ

حتى إذا دَلَفُوا إلى الوادي معًا ... فارموهُمُ بسهامِكُمْ فَتُثيروا

فوضى تفرِّقُهُمْ وتُنهي أمرَهُمْ ... وإليكُمُ النصرُ الأكيدُ يصيرُ

سارَ النبيُ بجيشِهِ يسعى إلى ... أعدائِهِ ويقولُ وهو قريرُ

يا ربِ نصرَكَ هبْهُ جيشًا مُسلِمًا ... فأنا إلى الرَّحَماتِ منكَ فقيرُ

وصلَ الرسولُ حُنَينَ يَسري مُدلِجًا[2] ... والجيشُ يمضي خلفَهُ ويسيرُ

حتى إذا دخلوا حُنَيْنًا أمطِروا ... بسِهامِ أعداءٍ لهمْ فأُضيروا

فتراجعوا وتقهقروا وتدافعوا ... هُزِموا فكلٌّ هاربٌ مذعورُ

ثَبَتَ الرسولُ مكانَهُ لا ينثني ... معَ قلةٍ من قومِهِ محصورُ

من فوقِ بغلتِهِ يُرددُ صوتَهُ ... إني الرَّسولُ وإنني المنصورُ

(أنا النبيُ لا كذبْ ... أنا ابنُ عبدِ المطَّلبْ)

يروي ابنُ عباسٍ حديثًا مُعْجِزًا ... أسدٌ محمدُ في الوغى وهَصُورُ

فاللهُ من خَلْفِ الرسولِ يحوطُهُ ... وهوَ الحفيظُ وإنهُ لقديرُ

عن بغلةٍ نزلَ الرسولُ وإنَّهُ ... يرمي الحصا بِيَدَيْهِ وهو وقورُ

فيُصيبُ كفّارًا بذُعْرٍ شَلَّهُمْ ... وقِواهُمُ تُجتَثُّ ثم تخورُ

نادى بصوتِ الحقِّ هيّا أقبلوا ... يا مسلمونَ تجمّعوا وأغيروا

إني رسولُ الله لستُ مكذَّبًا ... إني الرسولُ وربُّنا لبصيرُ

---

1 أعالي الشعاب.

2 الدلج: السير في الليل.

فيعودُ جيشُ المسلمينَ مكبِّرًا ... وَيُذَلُّ كفرٌ باطِلٌ وحقيرُ

والشمسُ تُشرِقُ في حُنَينٍ نورُها ... يجلو الحقيقةَ فالنهارُ منيرُ

غَنِمَ الرسولُ غنائمًا لم يُحصِها ... عَدٌّ وأما سَبْيُهُ فكثيرُ

وهوازنٌ وثقيفُ أدْبَرَ جَمْعُهُا ... وكثيرُهُمْ عندَ الرسولِ أسيرُ

فرِحَتْ ملائكةُ السماءِ بنصرِهِ ... وأظلَّ جمعَ المسلمينَ حبورُ

ويُوزِّعُ الأنفالَ[1] في مَنْ يرتئي ... فيكونُ همسٌ بينَهُمْ ويدورُ

لِمَ يُحْرَمُ الأنصارُ من أنفالِهِمْ ... والكلُّ منهمْ مُغْضَبٌ موتورُ

سعدٌ يجيءُ محمدًا متذمرًا ... والعدلُ عندَ محمدٍ مشهورُ

ماذا ترى يا سعدُ قالَ مسائلاً ... فيُجيبُ سعدٌ إنني معذورُ

أنا مثلُ قومي مؤمنٌ متيقِّنٌ ... لكنْ هو الإيضاحُ والتبريرُ

قالَ ادعُ قومَكَ إنَّ فيهِمْ حاجةً ... فإذا همُ عندَ الرسولِ حُضورُ

يا معشرَ الأنصارِ إنَّ لَعاعةً[2] ... قد أوجدتكُمْ[3] بعضُكُمْ مقهورُ

إني تألفتُ القلوبَ بزائلٍ ... أعطيتُ عن علمٍ ولستُ أجورُ

فلقد أتيتُكُمُ وأنتُمْ رُتَّعٌ ... وجمعتُ بينَكُمُ فزالَ نُفورُ

أسلمتُمُ للهِ صرتُمْ إخوتي ... فأنا عنِ الأنصارِ لستُ أحورُ

إنْ شئتُمُ قلتمْ أوينا هاربًا ... والقولُ حقٌّ ليسَ فيهِ غرورُ

لو شئتُمُ قولاً لقلتُمْ إننا ... مَنْ قد حماكَ وفضلُكُمْ موفورُ

---

1 غنائم الحرب .

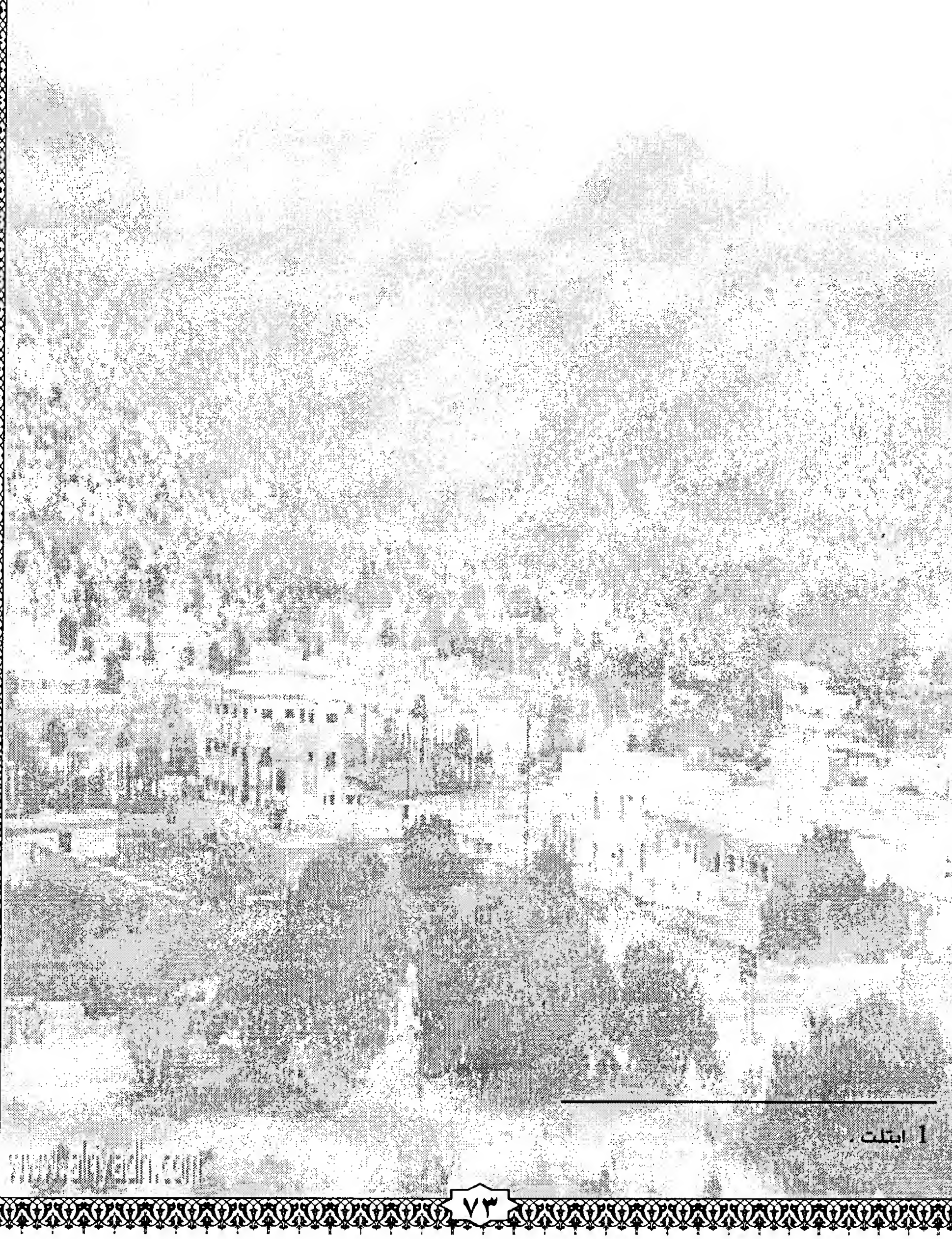
2 الشيء التافه .

3 أثارت غضبكم .

إني لكم قَسْمٌ فهل ترضَوْن بي نعم المجارُ أنا ونعمَ مجيرُ

سالتْ دموعُ القومِ واخضلَّتْ[1] لِحًى إنّا رضينا ربُّنا لغَفورُ

ويقولُ سعدٌ وهو سيدُ قومِهِ إني بما آثرتَنا لفَخورُ



1 ابتلت .

غزوة خيبر وغزوة تبوك

رَجَعَ الرسولُ تحفُّهُ الأنصارُ ... وكذا مُهاجرةٌ فهمْ أخيارُ
تَخِذوا المدينةَ موئلاً وقيادةً ... فيها المُقامُ فنعمَ تلكَ الدارُ
قد أنعمَ اللهُ الكريمُ بنصرِهِ ... والدينَ أعلاهُ فليسَ يُضارُ
هُزِمتْ قريشُ ومكةٌ خَلَصَتْ لهُمْ ... والبيتُ طُهِّرَ إنهُ لمنارُ
عادتْ قريشُ لرشدِها وهوازنٌ ... وثقيفُ كلٌّ أسلَموا وجِوارُ
وتعاظَمَ الإسلامُ وانتشرَ الهدى ... عمَّ الجزيرةَ نورُهُ وفَخَارُ
غِيظَ النصارى واليهودُ تبرَّموا ... رهبانُهُمْ ضجوا كذا الأحبارُ
أما اليهودُ فنافقوا وتآمروا ... وتحالفوا والنيّةُ استئثارُ
قد حاولوا قتلَ النبيِّ فنالهمْ ... بأسٌ شديدٌ ثم كان تَبَارُ
أُجْلُوا لخيبرَ لم يكُفّوا شرَّهمْ ... فهمُ بطبعهِمُ أذى أشرارُ
سارَ الرسولُ إليهمُ وأذلهمْ ... وعليٌّ ذاك الفارسُ المغوارُ
والرومُ أزعجَهُمْ بزوغُ محمدٍ ... وهرَقْلُ[1] فيهمْ ماكرٌ جبارُ
جمعَ الجيوشَ نوى قتالَ محمدٍ ... ينوي المدينةَ جيشُهُ جرّارُ
ينوي اجتِثاثَ المسلمينَ لأنهمْ ... خطرٌ عليهِ وتركُهُمْ إضرارُ
فالخيرُ دحرُ المسلمين ودينِهِمْ ... من قبلِ أن تستفحِلَ الأخطارُ
علمَ النبيُّ بما انتواهُ عدوُّهُ ... وبما أعدَّ عدوُّهُ الغدارُ

1 إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية ، وعاصمتها القسطنطينية ، ترك سوريا بعد الفتح الإسلامي وهو القائل :
وداعا يا دمشق ، وداعا لا لقاء بعده .

فالحقدُ وحَّدَ شملَهُم وأضلَّهُم فتكاتفوا وتآمروا وأشاروا
لكنهم باعوا بسوء صنيعهِمْ أُخِذوا بفعلِهِمُ فكانَ صَغارُ[1]
أما هرقلُ فكانَ أقوى شوكةً بادي العنادِ وجيشُهُ مكَّارُ
عربًا يُحالفُ من بني لَخَمٍ[2] كذا جيرانَهُمْ وقبائلاً يختارُ
يمضي لحربِ محمدٍ وفريقِهِ ويؤُمُّ طيْبَةَ فيه الاستكبارُ
علمَ الرسولُ بكيدِهِ وبمكرهِ وإلى النبيِّ تسرَّبَتْ أخبارُ
فأبى انتظارَهُمْ ليغزُوا دارَهُ وأعدَّ جيشًا طابَ ذاكَ قرارُ
ويسيرُ نحو هرقلَ يبغي ردَّهُ فهرقلُ رومًا قوةٌ وتبارُ[3]
قد قررَ المختارُ قهرَ عدوهِ لم يَثنِهِ فقرٌ ولا إعسارُ
وصلَ الرسولُ إلى تبوكٍ داعيًا يا ربِّ أنتَ الواحدُ القهارُ
لو أدركَ الرومانُ منا مقتلاً لأصابَ أمَّتَنا أذًى وخُوارُ[4]
فأبى انتظارَ المعتدين بدارِهِ والحربَ أزمعَ كلُّهُ إصرارُ
جمعَ القبائلَ حولَهُ وتوجهَتْ نحوَ الشمالِ كأنها الإعصارُ
وصلوا تبوكَ وعسكروا في أرضِها مستبسلينَ وعمَّ الاستنفارُ
هي غزوةٌ في اللهِ يُرجى خيرُها والقومُ في عنتٍ بهم إفقارُ
وقفَ الرسولُ محرِّضًا ومشجعًا يدعو وفي دعَواتِهِ إيثارُ

---

1 الذل .
2 هم فرع من التنوخيين ، وانتشروا في شرق وشمال الجزيرة العربية والعراق والشام .
3 الهلاك .
4 ضعف .

يا ربِ نصرك إننا في عُسرةٍ فعلى هُداك تحالف الكفارُ

فلئنْ هُزِمْنا لن تقومَ شعائرٌ للدينِ فانصرْنا أيا نصّارُ

يدري هِرَقْلُ بأن جيشَ محمدٍ وصل الحدودَ وإنَّهُ الإنذارُ

لو يشتكي ضعفًا إلينا ما أتى فهو القويُ تشتَّتَتْ أفكارُ

لو كان جيشُ محمدٍ مستضعَفًا ما جاءني عَجلاً إليَّ يُسارُ

ويرى هِرَقْلٌ أن يُفَرِقَ جيشَهُ يمضي لحالِ سبيلِهِ يحتارُ

لم يدرِ أن الله حققَ دعوةً فاللهُ ناصرُ جُنْدِهِ ستّارُ

عما قريبٍ سوف يُكمِلُ نصرَهُ فيجيءُ شامًا خالدٌ وضِرارُ

ويُرفرِفُ الإسلامُ فوقَ ربوعِها فالدينُ في جنباتها مختارُ

لكنَّ ذاك مؤجَّلٌ ولحكمةٍ حتى تكونَ بإذنِهِ الأقدارُ

المدينة المنورة

الخـــيرُ حـــلَّ وأشـــرقتْ أنـــوارُ — مـــذ حـــلَّ فيهـــا المُرسَـــلُ المختـــارُ
إذ جاءَهـــا فيهـــا الخلائِـــقُ أنْـــورَتْ — فأضـــاءتِ الأحجـــارُ والأشـــجارُ
صـــمدت علـــى مـــرِّ الزمـــانِ عزيـــزَةً — ويَؤمُّهـــا العُبّـــادُ والأطهـــارُ
حمـــت الـــنبيَ وصـــحبَهُ إذ هـــاجروا — هـــي بيتُـــهُ وكِرامُهـــا الأنـــصارُ
ومدينـــةُ الـــرحمنِ أضـــحتْ مـــوئلاً — وقيـــادةً منهـــا الأمـــورُ تـــدارُ
لا يـــدخلنْها غـــيرُ قلـــبٍ مـــسلمٍ — واســـتُبْعِدَ الرهبـــانُ والأحبـــارُ

نـــورُ المدينـــةِ في البـــسيطةِ أشـــرقا — وسمـــا بهـــا المجـــدُ التليـــدُ وحلَّقـــا
هـــي موئـــلُ الإســـلامِ دارُ مـــلاذِهِ — وأتـــى لهـــا المختـــارُ مجـــداً حققـــا
تاهـــت علـــى الـــدنيا فَـــسِرُّ جلالِهـــا — الحـــبُ والإيمـــانُ يزهـــو والتُقـــى
حيًّـــا سَـــعى فيهـــا الـــنبيُ وميِّتًـــا — كُنْـــهُ الطهـــارةِ والـــسعادةِ والنَّقـــا
قـــدْ جاءهـــا الإســـلامُ كَلًّـــا هاربًـــا — وبهـــا تمكّـــنَ شـــأنُهُ ثـــمَّ ارتقـــى
منهـــا جيـــوشُ المـــسلمينَ تهيَّـــأتْ — فـــالحقُ مـــن قلـــبِ المدينـــةِ أُطلِقـــا

حجة الوداع

منهـا يـسيرُ محمـدٌ يـسعى إلى | حـجٍ وصـوتُ اللهِ كـان مُجلجِـلا
فرسـولُهُ للحـجِّ أزمـعَ أمـرَهُ | ويقـودُ حـجَّ المـسلمين مُـبَجَّلا
مائـةٌ مـن الآلافِ تـسعى خلفَـهُ | والكفـرُ صـارَ مُحطَّمًـا ومُزلـزَلا
ذي حَجـةٌ مـشهودةٌ لرسـوله | فيهـا كتـابُ اللهِ صـارَ مُكمَّـلا
اليـومَ أكمَـلَ دينَـهُ وهباتِـهِ | يرضَـى لنـا الإسـلامَ دينًـا أنـزَلا
ومحمـدٌ يـدري بقـربِ رحيلِـهِ | لرفيقِـهِ الأعلـى سـعيداً مُقـبِلا

*****

وفاته صلى الله عليه وسلم

في سـورةِ النـصرِ العظـيمِ بيـانُ | أوحـى بـهِ وأقـرَّهُ القـرآنُ
إن جـاءَ فـتحٌ ثـم أسـلم أهلُهـا | فاسـتغفِرَنَّ وربُـكَ الـرحمنُ
شـعرَ الـنبيُ محمـدٌ برحيلِـهِ | فبـذا يقـولُ ويُنْبِـئُ الفرقـانُ
فـدعا بفاطمـةٍ يبـثُ شـعورَهُ | فبكـتْ وعاجلَهـا الحـديثُ لـسانُ
ضـحكتْ وأشـرقَ بالـسعادةِ وجهُهـا | ونـساؤُهُ يـسألنَها مـا الـشانُ
قالـتْ فـأخبرني بقـربِ وفاتـهِ | سـيكون منـهُ البعـدُ والحرمـانُ
قـال ابـشري فلأنـتِ أولُ لاحـقٍ | بـي فابتـسمتْ فمنزلـي الرضـوانُ

*****

خطبة الوداع

خطـبَ الرسـولُ النـاسَ فهـو حبيـبُ | والنـاسُ سـادهُمُ أسَـى ونحيـبُ[1]

---

1 البكاء الشديد.

مــن بعـدِ تنزيـل الختـامِ تأكـدوا … أن الرحيـلَ إلى الإلـهِ قريـبُ
فيقـولُ تلـك مناسـكٌ فلتأخـذوا … عـني فحجُّكـمُ بهـا سـيطيبُ
لا تتركـوا شـيئا سـلوني إنـني … إن تـسألوني بالـصحيحِ أُجيـبُ
فلعلـني لا ألتقـيكم بعـد ذا … فـالموتُ حـقٌ والبعيـدُ قريـبُ
كـلُ الأنـاسِ لآدمٍ ولـآدمٌ … ينبـو ويُـدركُ شـأنَهُ فيـصيبُ
أدُوا أمانـاتٍ إلـيكمْ أُسـنِدتْ … ودعـوا الربـا إن الرِبـا لَمعيـبُ
ودعـوا الخيانـةَ والجهالـةَ واتّقُـوا … فـالخوفُ مـن ربِ العبـادِ طبيـبُ
يـشفي النفـوسَ فتُتَّقـى أسـقامُها … ويطيـبُ عـيشٌ والحيـاةُ تَطيـبُ
ولْتحفظـوا للـدينِ مـا أبلغْـتُكُم … عـن سـنّتي لا تبعُـدوا فتخيبـوا
وتجمعـوا فـالجمعُ يُعلـي شـأنَكمْ … إن التفـرقَ سَـيءٌ وكئيـبُ
أوفـوا بحـقِ اللهِ حـقٌ عبيـدِهِ … وارعَـوْا حقـوقَ الجـارِ فهـو حبيـبُ
وتعهـدوا الإسـلامَ فهـو أُخُـوَّةٌ … واستـسلموا للهِ ثـمَّ أَنيبـوا
واستعـصموا بـاللهِ وارعَـوْا حقَـهُ … فـاللهُ يَجـزي عبـدَهُ ويُثيـبُ
ودعـوا الزِنـا لا تقربـوهُ فإنـهُ … شـرٌ وبيـلٌ قاتـلٌ وجـديبُ
وذروا الـدماءَ فإنهـا موضـوعةٌ … وزنـوا الأمـورَ تـداركوا وتُـصيبوا
واسـوا النـساءَ فهـنَّ مـنكمْ بـضعةٌ … وفـروجَهنَّ بحلِّهـا فأَصـيبوا
أبنـاؤكمْ لفراشـكمْ ولعـاهرٍ … حَجَـرٌ وغـيرُ الحـقِ فهـو غريـبُ
أرحـامَكُمْ فـصلوا ولا تـستقطِعوا … مـن يقطَعـنْ رحِمًـا فـذاكَ سليـبُ

الموت حق والبعث حق

المــوتُ حـــقٌ والحقيقـــةُ أنـــصعُ ... واللهُ فـــوق الكـــل بـــاقٍ مُبـــدِعُ
فلـــهُ الخلـــودُ فلـــيس يخلُـــدُ غـــيرُهُ ... فالكـــلُّ مخلـــوقٌ لـــرَبٍّ يخـــضَعُ
خلـــق الإلَـــهُ الكـــونَ مـــن عـــدَمٍ وقـــدْ ... أجـــرى الحيـــاةَ كمـــا يـــشاءُ ويَـــشرَعُ
مـــا الخلـــدُ إلا للإلَـــهِ فملحـــدٌ ... مـــن ظـــن غـــيرَ اللهِ شـــيئًا يُمْنَـــعُ
فـــالموتُ يُفـــني كـــلَّ حيّـــي في الـــدُنا ... والمـــوتُ حـــقٌّ بَطـــشُهُ لا يُـــدْفَعُ
(وإذا المنيـــةُ أنـــشبتْ أظفارَهـــا ... ألفيـــتَ كـــلَّ تميمـــةٍ لا تنفـــعُ)
والمـــوتُ قـــدّرَهُ إلَـــهٌ خالـــدٌ ... يُحيـــي يُميـــتُ ويـــومَ بعـــثٍ يُرجِـــعُ

خطـــبَ الرســـولُ النـــاسَ ثـــمَّ تبـــسَّما ... واللهُ قـــد صـــلى عليـــهِ وســـلّما
اللهُ خيَّرنـــي بمـــا في ذي الـــدُنا ... أو بـــين خـــيرٍ عنـــدَهُ وتكرُّمـــا
فـــاخترتُ مـــا عنـــدَ الإلَـــهِ تيَمُّنًـــا ... فـــاللهُ ربُّ الجـــودِ خـــيرًا مُنعِمـــا
فيَـــرى أبـــو بكـــرٍ تغيّـــرَ وجهِـــهُ ... والـــدمعُ ســـالَ وبـــالكلامِ تلعثَمـــا
نظـــرَ الرســـولُ إليـــهِ يُـــشرقُ وجهُـــهُ ... يـــا أيهـــا الـــصِّدِّيقُ دمـــتَ مقـــدَّما
ربـــي اصـــطفاني كـــي أكـــونَ خليلَـــهُ ... مـــن بعـــدِ إبـــراهيمَ صـــرتُ مؤمَّمـــا
لـــو كنـــتُ متَّخِـــذًا خليلا أصـــطفي ... كنـــتَ الخليـــلَ وكنـــتَ أنـــتَ المُكرَمـــا
صـــدّقتَني ونـــصرتَني وصـــحبتَني ... في هجرتـــي والفـــتحِ كنـــتَ الأصـــرَما[1]
يبكـــي أبـــو بكـــرٍ فـــإن محمـــدًا ... عمـــا قريـــبٍ ســـوفَ يـــصعدُ للـــسما
يُـــنبي بمـــا أوحـــى إليـــهِ إلَهُـــهُ ... واللهُ يُجـــري الحكـــمَ حُكْمًـــا مُبرَمـــا

---

1 القوي المهاب .

مرضه قبل الموت

رجع الرسولُ من البقيعِ سقيما — يشكو صداعًا مُبْرِحًا وأليما
حُمَّ الرسولُ وعائشٌ تدعو لهُ — يا ربِ خفِّفْ عنهُ واشفِ رحيما
فيقولُ وهو ممازحٌ وملاطفٌ — لو مِتِّ قبلي هل أكونُ خصيما؟
ضحكتْ لهُ والحزنُ يعصرُ قلبهَا — إن شئتَ كنتُ مع الرسولِ نديما
يا عائشٌ إني أُحِسُّ مضاضةً[1] — من يومِ كنتُ بخيبرٍ مسموما
وتعودُهُ الحُمَّى فترهِقُ جسمَهُ — لزمَ الفراشَ وظلَّ فيهِ مقيما

مرضَ النبيُ وكدَّهُ الإعياءُ — واستفحلَتْ في جسمِهِ الأدواءُ[2]
تركَ الإمامةَ لم يُصلِ جماعةً — والمسلمون دهتهمُ الأرزاءُ[3]
ودعا بعائشةٍ فقال مخاطبًا — نادوا أبا بكرٍ فذاك أشاءُ
فَمُروه أن يَليَ الإمامةَ بعد أنْ — أصبحتُ لا يُرجى لديَّ شفاءُ
فتقولُ عائشةٌ أبو حفصٍ لها — فيقولُ لا، أمرُ الرسولِ قضاءُ
قالتْ لحفصٍ فاسأليهِ لعلَّهُ — يدعو أباكِ فإنها الحُمَّاءُ
فيقولُ أعيَيْتُنَّ يوسُفَ قبلَنا — فالكيدُ كيدٌ والنساءُ نساءُ
فتقولُ عائشةٌ وحفصٌ أُغْضِيَتْ — أخشى كراهةَ من مكانك جاءوا
ومحمدٌ يدعو جميعَ نسائِهِ — والعدلُ ديدَنُهُ كذاكَ وفاءُ

---

1 ألما شديدا.

2 جمع داء.

3 المصائب. جمع رزء.

يستأذنُ الزوجاتِ أن يعذرنهُ ... في بيتِ عائشةٍ يكونُ قضاءُ
يأذنَّ لا يحسدْنَها إذ فُضِّلَتْ ... ويسودُهُنَّ محبةٌ وإخاءُ

اللهُ قدَّرَ أقداراً ويجريها ... يدبِّرُ الكونَ يُفْني النفسَ يُحييها
والمسلمونَ أصيبوا في رسولِهِمُ ... بعد انقطاعٍ لخمسٍ لا يُرى فيها
أحس في جسمِهِ بعضَ النشاط وقدْ ... أمَّ الجموعَ أبو بكرٍ يُسوِّيها
يأتي الرسولُ إلى المحرابِ مستنداً ... يميلُ في سيرِهِ والساقَ يلويها
يراهُ صِدِّيقُهُ يهتزُّ من فرحٍ ... وكان يوشكُ للإحرامِ ينويها
تَراجُعًا منهُ أبدى إذ أشارَ لهُ ... محمدٌ فاثبُتَنْ إني مؤديها
فذا الرسولُ يصلي جالسًا تعِبًا ... جنبَ الرسولِ أبو بكرٍ فيمليها
بذاك صلى أبو بكرٍ يُؤَمُّ بهِ ... وهو الإمامُ فأعطى القوسَ باريها
وبعد ختم صلاةٍ قام يخطُبُهُمْ ... والضعفُ بادٍ وآلامٌ يعانيها
أراكمُ قد شُغِلْتُمْ بي فلا حَزَنٌ ... أريدُ آخرةً بالنفسِ أشريها
فاللهُ خيرني فاخترتُ أخيَرَ ما ... عند الإلهِ ودنيا لا أحابيها
ويختم القولَ حفظًا للصلاةِ فذي ... عمودُ دينِكُمُ واللهُ معليها
تقول عائشةٌ والصدقُ قولتُها ... زوجُ الرسولِ وصديقٌ مربيها
بينا أنا ورسولُ اللهِ متكئٌ ... ورأسُهُ فوقَ صدري كان يُلقيها
أستاكهُ بسواكٍ كي يطيبَ فمًا ... ليَّنْتُها بيميني كنتُ أجريها
أتاهُ جبريلُ حيّاهُ وقال لهُ ... وكان يُوعَكُ[1] يدعو اللهَ تنزيها

1 يتلوى من شدة الألم .

بلغتَ ما شاءَ ربُ العالمين وقدْ أدّيتَ خيرَ رسالاتِ لأهليها
معي الموَكّلُ بالأرواحِ منتظرٌ بالباب يَطْلُبُ إذنًا أن يوافيها
لأنت أولُ من في الأرضِ خيَّرَهُ إلهُهُ في أمورٍ كان يَقضيها
فليدخُلَنَّ رسولُ اللهِ مبتسمًا يجيبُ فالروحُ للرحمنِ باريها
قال الملاكُ لهُ فاخترْ تُجبْ أبدًا لو شئتَ أقبضُ أو لو شئتَ أُبقيها
قالَ اقبضَنْها وعجِّلْ بالصعودِ بها إلى الرفيقِ فإنّي زاهدٌ فيها
تقول عائشةٌ والحزنُ يؤلِمُها وتفتَحُ السترَ والآلامُ تُضنيها
ماتَ الرسولُ فَضجَّ القومُ واعتبَروا[1] علا البكاءُ فدمعُ العينِ يَرويها
هذا عليٌّ يُغَشَّى وهو مُطَّرحٌ وذا أبو حفصَ هزّتهُ دواهيها
محمدٌ لمْ يمتْ بالسيفِ أقتُلُ منْ يقولُ ماتَ وكأسَ الموتِ أَسقيها
يأتي الرسولَ أبو بكرٍ يقبِّلُهُ قد طبتَ حيًّا وميْتًا سيِّدًا فيها
ويقصدُ المسجدَ المحزونَ في ثقةٍ يُعيدُ للنفسِ ما قد كان يُشقيها
رأى جموعًا شديدُ الخطبِ يُفزِعُهُم موتُ النبيِّ رسولِ اللهِ يُبكيها
وزاد فجأتَهُ أن قد رأى عمرًا يخاطبُ الناسَ نارَ الشكِّ يوريها[2]
قالَ اسكُتَنَّ فلم يأبَهْ لهُ عمرٌ مضى يهدد تصريحا وتنويها
قالَ اسكُتَنَّ فإن اللهَ أخبرَنا بموتِهِ فهو مُغني النفسِ محيها
محمدٌ لمْ يكنْ وهو الرسولُ لنا إلا مبلّغَ آياتٍ يجلّيها
محمدٌ ماتَ والتوحيدُ غايتُهُ ما رامَ جاهًا ولا خُلدًا وتأليها

---

1 سالت دموعهم .

2 يضرمها ويشعلها .

مـــن كـــان يعبُــدُهُ فـــاللهُ كرّمَــهُ　　بـــالموتِ آثــرَهُ لا يبتغــي تيهـــا

فمـــن وعـــى ســنةَ الـــرحمن ملتزمًـــا　　فليعبــدِ اللهَ محيـــي الــنفسِ مفنيهـــا

ويَرجِـعُ الرشــدُ نَلْقَــى بعــدَهُ عمــرًا　　يعـــود للحـــقِ والآيـــاتِ يـــدريها

وتطمـــئنُ نفـــوسُ النـــاسِ يعمرُهـــا　　فَـيْضٌ مـــن الحـــبِ والإيمـــان يثريهـــا

فـــالروح مـــن خلـــقِ ربٍ قـــادرٍ بُعِثَـــتْ　　إن شـــاء أهلكهـــا أو شـــاء يبقيهـــا

قـــد غـــسلوهُ وصـــبوا المـــاءَ يـــسترُهُ　　قميـــصُهُ دونَ عـــوراتٍ يواريهـــا

وكفنّـــوهُ بأكفـــانٍ مثلّثـــةٍ　　بيـــضاءَ رائحـــةُ الأعـــضاءِ تزكيهـــا

عليـــه صـــلى جمـــوع المـــسلمين وقـــد　　صـــلّوْا فُـــرادى ونـــور الله هاديهـــا

صـــلى الرجـــالُ ومـــن ثـــم النـــساءُ علـــى　　جثمانِـــهِ ثُـــمَّ أطفـــالٌ ذراريهـــا

مـــدافنُ الأنبيـــاءِ الغُـــرِّ حيـــثُ قَـــضَوْا　　هـــذي إرادتُـــهُ واللهُ قاضـــيها

ثَـــوى الرســـولُ ولحـــدٌ ضـــمَّ أكـــرمَ مـــن　　قـــد ضـــم لحـــدٌ بـــشرقِيها وغربيهـــا

تـــروي الـــصِحَاحُ حـــديثًا صـــادقًا حـــسَنًا　　عـــن المدينـــةِ والـــرحمنُ حاميهـــا

لمـــا أتاهـــا رســـولُ اللهِ يقـــصِدُها　　قـــد عمَّهـــا النـــورُ في شـــتى مغانيهـــا

إذ مـــاتَ عنهـــا تـــرى الأشـــياءَ قـــد كُـــسِفَتْ　　وأظلمـــتْ مـــن أســـى حـــزنٍ نواحيهـــا

إذ جـــاءَ بـــشرٌ عـــلا تلـــكَ الوجـــوهَ وقـــد　　ازدادت الأرضُ خِـــصبًا في نواحيهـــا

إذ مـــات فـــالحزنُ يمـــشي في أزقتهـــا　　وجلـــلَ البـــؤسُ دانيهـــا وقاصـــيها

يـــا ربِ ثبـــتْ علـــى التوحيـــد أمّتَنـــا　　وكـــنْ لهـــا راعيًـــا للخـــير تهـــديها

واكتـــبْ لنـــا ملتقـــى في جنّـــةٍ جُعِلَـــتْ　　للمـــؤمنينَ وبوِّئنـــا أعاليهـــا

واجعـــلْ لنـــا شَـــربَةً مـــن مـــاءِ حوضِـــكَ إذْ　　محمـــدٌ يتبـــاهى في حواشـــيها

معجزات الرسول

المعجـــزاتُ هبـــاتُ اللهَ للبـــشَرِ تــؤتى لــذي صـفةٍ بـالله مقتـدرِ
هــي الكرامــةُ مــن رب الــسماءِ لمــنْ أولاهُ خـيرًا لـذي عقـلٍ وذي بـصَرِ
قــد أرســل الله رسْــلاً في بريَّتِــهِ فـأنكروا مـا ارتـضوا مـن بـيِّنِ الخبَـرِ
فأيَــدَ اللهُ بالإعجــاز مــن بُعِثُــوا ليرعـوي النـاسُ مـن بـدوٍ ومـن حـضَرِ
موســى عــصاهُ مــن الــرحمن معجــزةٌ قـد أبطلَـتْ مكـرَ قـومٍ كـان بالـسحرِ
كمــا يَــشُقُّ بهــا بحــرًا بمعجــزةٍ يـسري بـه القـومُ في أمـنٍ وفي يـسرِ
وقبلَــهُ نــوحُ يــبني فُلكَــهُ ثقــةً فيـضحكُ القـومُ منـهُ غايـةَ الـسُّخْرِ
ويــونسٌ والتقــامُ الحــوتِ معجــزةٌ في بطنـهِ يعبـد الـرحمنَ بالـذكرِ
وذا ابــنُ مــريَمَ يُحيــي النــاسَ معجــزةً يحييـهمُ بعـد مـوتٍ باسـمِ مقتـدرِ
أمــا محمــدُ وهــو الخــتمُ في رسُــلٍ فـالمعجزاتُ لـهُ سِـمْتٌ لـذي عِبَـرِ
ذكــرتُ بعــضاً بنظمــي وهــي مثبتــةٌ كمــا تُــرى في أحاديــثٍ وفي أثــرِ
وأخــتم القــولَ بالإســراءِ معجــزةً خَـصَّ الرسـولَ بهـا ربٌّ لمُعْتَبِـرِ
واللهَ أســألُ أن أحظــى بــصُحبتِهِ وأن يكـون شـفيعي حـين محتـضرِ

ليلة الإسراء

في ليلـةٍ مـا لهـا مِثـلٌ ولا شـبَهٌ ... الله بادئُهـا والله منـشيها
بينـا الرسـولُ يـصلّي وهـو متّجـهٌ ... للهِ يـسأله دعمًـا وتوجيهـا
وإذْ بُـراقٌ يـروعُ القلـبَ منظـرُهُ ... قـال اركبَنّـي وأسـرى في دياجيهـا
فلـم تكـد بُرهـةٌ تمـضي لراكبِـهِ ... حتـى اسـتقرَ ونـادى اللهُ تنبيهـا
هـا أنـت في المسجدِ الأقصى فـلا عجـبٌ ... فـصلِّ للهِ إجـلالا وتنزيهـا
صـلّى إمامًـا برُسْـلٍ كـان خـاتمَهُمْ ... والله أكرمـهُ حقًـا وتنويهـا
وسـار نحـوَ الـسما جبريـلُ يـصحبُهُ ... يُطَمْـئِنُ الـنفسَ أحيانًـا ويمـضيها
ولم يـزل ماضـيًا حتـى اسـتُقِرَّ بـهِ ... بجنـةِ الخلْـدِ في أعلـى مغانيهـا
هنـاك صـلى بقـربِ العـرشِ مبـتهلاً ... وسـدرةُ المنتهـى تبـدو لرائيهـا
مـن فـوق عـرشٍ أتـاه الـصوت قـال لـهُ ... إنـي أنـا الله بـاري الـنفسِ هاديهـا
فوحـد اللهَ صـلِ الخمـسَ زكِ وصُـمْ ... وحُـجَ وادعُ إلَـهَ الكـون تأليهـا
فـإن ذاك هـو الإسـلامُ قـدْ سـلمتْ ... أركانـه الغـرُّ في أسمـى معانيهـا
يـا ليلـةً كـرَّمَ الـرحمنُ فارسَـها ... وزادَ أمَّتَـهُ بـينَ الـورى تيهـا
فيهـا تجلـتْ علـى الأزمـانِ معجـزةٌ ... قرآنُنـا الحـقُ بالآيـاتِ يرويهـا
شـكري سَـمَارةَ يـدْعُوا اللهَ يـسألُهُ ... أنْ يَحفَـظ الأُمـةَ الوُسْـطَى ويَحْميهَـا
يـا ربِّ ثبـتْ علـى التوحيـدِ أمَّتَنـا ... وانـصرْ عقيـدتها واهـزمْ أعاديهـا
هـذا بيـانٌ فـصيحٌ رُحْـتُ أنـسجُهُ ... وللبيـانِ مقامـاتٌ يُؤدّيهـا
حاولـتُ رغـمَ قـصوري أنْ أأدِّيَهـا ... ولـيسَ في طـوقِ شـكري أن يؤدّيهـا
فـارحمْ إلهِـيَ ضـعْفًا لا يفـارقُني ... وَهَـبْ لـيَ القـدرةَ المُثلـى لأعليهـا

تم بحمـد الله وتوفيقـه في أبـو ظـبي ، غـرة محـرم سـنة تـسعٍ وعـشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الميمونة.

د. شكري محمد سماره

